شعر المرأة الأندلسية

د/ سعاد أمين محمد (*)

يراودنا التساؤل عن جدوى إعادة قراءة نصوصنا الأدبية القديمة، هل هناك احتياج دائم لقراءات متعددة ، وهل يمكن أن تضيف قراءة جديدة رؤى جديدة أو مغايرة ؟ وهل تجدد القراءة وتغايرها ، بل تناقضها يحمي النص من الموات، ويهبه حياة جديدة؟

أن التحليل الجديد ضرورة لحياة النصوص، بخاصة القديمة ، فهذا في ظني واضح لا يحتاج دليلاً . فكل قراءة هي ابنة زمانها ومكانها، وما يرتبط بهما من رؤى ثقافية ، واجتماعية، وإنسانية. وفي البدء والختام، كل قراءه هي ابنة صاحبها بكل ما يميزه من سمات تجمعه بالآخرين من جهة، وتفرقه عنهم من جهات.

فالأعمال الخالدة " قابلة مستويات متعددة من القراءة تختلف باختلاف الذات القارئة وشروطها التاريخية[1]"، أما المنهج المتبع في ذلك، ففي ظني أنه يقتضي التفرقة بين شيئين هما : منهج البحث، ومنهج تحليل النص الأدبي .

فالبحث الذي يكون غايته تحليل النصوص ليس بحاجة إلى منهج سوى المنهج الوصفي.

(*) **مدرس الأدب والنقد – قسم اللغة العربية – كلية الألسن – جامعة عين شمس.**

[1] وهب رومية - شعرنا القديم والنقد الجديد – عالم المعرفة العدد ٢٠٧ ص٢٣.

أما التحليل نفسه فيستدعي وجود مناهج متعددة، ويحتم الانفتاح على كل قراءة تضيء جانبا من جوانب النص، إذ إن منهجا واحداً لا يكفي لفض مغاليق عمل متميز ورائع، ولا يصلح لكشف طبقات المعنى، وتشابك الأفكار، وعمق الصور، وتميز الأساليب.

وفي كل الأحوال فإن النص العميق الحي قادر على استدعاء المنهج الذي يناسبه في اللحظة التي تناسبه. وقد استخدمت في جزء من هذه الدراسة المنهج الفني، الذي يرتكز على دراسة الجوانب الفنية ، وهذه القراءة تتوقف قليلا عند جماليات العمل الأدبي في الأدوات والمضمون، وذلك لأن جمال الشعر والمتعة الفنية التي يقدمها لمتلقيه جزء محوري من تكوينه، إذ "إن دراسة الأدب دراسة تفسيرية يجب أن تتجه نحو تحقيق أقصى قدر من المتعة الجمالية...والمتعة الجمالية في صناعة العمل الأدبي تدخل أساسا في العمل الأدبي نفسه وفي المجال الشاعري بقوة ، وهذه المتعة الجمالية...هي المبرر الأساسي"[1].

تمهيد: (الحياة الثقافية والاجتماعية في الأندلس)

من الشرق إلى الغرب ، من الصحراء القاحلة إلى المروج الزاهرة، من شظف العيش إلى الرفاهية والنعيم . انتقال تبعه تغيير في الطباع والعادات والتقاليد . وكما تغير الرجال تغيرت النساء ، ولم يكن تغيرهن ظاهرياً بل لامس الجوهر والأعماق ، وقد تميزت المرآة العربية في الأندلس بحكم طبيعة المجتمع بنشاطها الذي ساعد في إظهاره قابليتها في العديد من النواحي العامة في الحياة .

---

[1] اندرسون امبرت - مناهج النقد الأدبي، ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي- دار المعارف القاهرة: ، ط٢، ١٩٩٢، ص٢٦٨.

ولو تأملنا واقعهن في الحياة للمسنا العناية الواضحة التي كان يوليها المجتمع للمرأة ؛ من حيث توفير فرصة التعليم لها ، فضلا عن الرعاية التي خصصهاالخلفاء و الأمراء لهن ، وتشجيعهن من خلال إغداق الأموال عليهن ، وتحفيز العلماء لتعليمهن حسب الظروف المناسبة ؛ لما يمثله ذلك في نظر الدولة الأموية من رقي علمي وتمدن حضاري . فكانت المرأة الأندلسية أكثر قدرة على الحركة تتعلم وتتفقه في الدين وتدرس الأدب وتنظم الشعر وتشارك في الحياة العامة ، ومن ثم تبوأت مكانة عالية في كل مجالات الحياة المختلفة ، وتمتعت بحرية واسعة ، فأصبح لها شخصيتها المستقلة .

فهناك العالمات في الشئون الدينية والحافظات للقرآن لا يحصى عددهن ، وقيل إنه كان في الأندلس ستون ألف حافظة للقرآن ترفع كل واحدة قنديلا" فوق باب بيتها في الليل إشارة إلى أن هناك حافظة، وذلك من باب التمييز على غيرها[١] .

وهناك نساء راويات للحديث ، ومنهن عابدة ، وهي جارية وفدت من المدينة إلى قرطبة روت عن مالك بن انس وغيره من أئمة المدينة [٢]. وكذلك كان للمرأة الأندلسية دور سياسي ؛ وقد ذكر أن اعتماد زوجة المعتمد بن عباد كان لها تأثيرها الكبير على حياته ، ولها دور بارز في الحياة العامة في اشبيلية، ومما يشهد على ذلك ما تحمله النقوش في ذكر اسمها يوم الشروع في بناء صومعة اشبيلية سنة ٤٧٢ هـ [٣].

---

[١] محمد جميل بيهم - المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة - بيروت : دار النشر للجامعيين ، ١٩٦٢ ص ٤٠

[٢] ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح ابن عبد الله الازدي الحميدي - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، 1966م ص٤١٢-٤١٤ - ابي القاسم خلف ابن عبد الملك المعروف بابن بشكوال- الصلة في تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم ، صححه وراجع اصله السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥م.: ٦٩١/٢

[٣] المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ص٢٥٧

كما اهتمت المرأة الأندلسية بالناحية العلمية "ومما يؤيد ذلك أن بعضهن وصفن بكونهن عالمات فقد قيل بحق فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي تلك الصفة "[١]. والعروضية مولاة الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون ، أخذت عنه النحو واللغة، ولكنها فاقته وبرعت في العروض ، وحفظت الكامل للمبرد والنوادر للقالي وشرحتهما [٢]. ونضار بنت الإمام أثير الدين بن حيان محمد بن يوسف الأندلسي التي كانت كاتبة وقارئة وتنظم الشعر.[٣]

واشتهرت مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله . لما تمتعت به من جودة في الخط وفاقت غيرها . وقيل عن لبني كاتبة الخليفة الحكم المستنصر بأنها كانت مهيمنة على العلم ، ولها معرفة بالحساب وعلم العروض [٤]. ويصف ابن حيان في المقتبس إحدي النساء غير مصرح باسمها قائلاً " لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علمًا. وفهمًا وأدبًا وعزًا ، كانت تمدح ملوك الأندلس ، حسنة الخط ، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب ، وتعنى بالعلم ، ولها خزانة علم كبيرة ، توفيت سنة ٤٠٠ هجري "[٥].كل ذلك في امرأة واحدة .

واشتهرت بعضهن في العلوم الصناعية والتجريبية ؛ ولاسيما الطب، ومنهن أخت الحفيد بن زهر وابنتها ، وأم الحسن كانت طبيبة إلى جانب إجادتها قراءة القرآن ومشاركاتها في الكثير من الفنون . كما عرف أن نساء الخلفاء والملوك كن في غنى عن الأطباء بالطبيبات .

---

[١] داحسان عباس – تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) - محمد عبد العزيز عثمان - دور المراة العربية في الأندلس – مجلة المؤرخ العربي العدد ١٣ / ١٩٨٠م ص ١٠٦-١٠٧

[٢] المرجع نفسه

[٣] محمد عبد المنعم خفاجة - قصة الأدب في الأندلس – مكتبة المعارف -١٩٦٢م ص ٤٠١

[٤] الصلة ٦٥٤/٢

[٥] المصدر نفسه

أسهمت المرأة الأندلسية في اقتناء الكتب العلمية ؛ حيث وجدت مكتبات خاصة لهن ، مما يدل على اهتمامهن بالحركة العلمية ورغبتهن الذاتية في التزود بالعلم والإطلاع على المؤلفات العلمية ، وقد عرف عن عائشة القرطبية بان لها خزانة علم كبيرة وأنها كانت حسنة الخط ، وتكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب . و اشتهرت صفية بنت عبد الله في نقل المخطوطات.[1]

وشاركت المرأة الأندلسية في الوظائف العلمية والرسمية ، فقد مارست مهنة المعلمة، ولم يكن بوسعها أن تزاول هذه المهنة في الكتاتيب، كما هو الحال بالنسبة للرجل ، بل زاولتها داخل البيت ، فقد ذكر أن : " أخت محمد بن حزم كانت تمارس التأديب داخل الدار، وكانت هي وأبوها وأخوها يمارسون التعليم في دار واحدة . ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري كانت تمارس تعليم النساء الأدب[2].

وإلى جانب اهتمام المرأة الأندلسية بالعلوم والأدب قد كان لها باع طويل في فنون الموسيقى والغناء ولاغرابة في ذلك فقد عرفنا عندما فتح المسلمون الأندلس ، توافد عليها الكثير من العلماء والرواة والشعراء فإلى جانب اهتمام الخلفاء والأمراء بالعلوم المختلفة كانوا يهتمون بالموسيقى والغناء وشراء الجواري والمغنيات حيث كانت تعقد مجالس شراب للأنس والطرب ، وكانت الجواري يقدمن الشراب ويغنين في هذه المجالس ، ومنهن طروب وقمر وأنس القلوب و العجفاء وغاية المنى وغيرهن كثيرات [3].

---

[1] لعله يعني صفية بنت عبد الله الرّيّي ت٤١٧هـ - عمر رضا كحالة –أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام – مؤسسة الرسالة –ص٢/ ٣٤٠

[2] المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ص ٢٣٩

[3] ينظر : ابن بسام – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت ١٩٩٧م وكذلك : المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – تحقيق إحسان عباس – دار صادر- بيروت ١٩٦٨م وايضاً : ابن الآبارمحمد بن عبد الله البلنسي – التكملة لكتاب الصلة – تحقيق عبد السلام الهراس – دار الفكر للطباعة – لبنان ١٩٩٥م .

ويعد الحكم بن هشام من أكثر أمراء بني أمية عناية بالغناء وكان لديه عدد من الجواري المغنيات منهن عزيز ومهجة وفاتن،وكان يقترح عليهن الأشعار التي يغنين بها،وكانت بعض النساء تنظم الشعر وتلحنه، وقد نظمت عزيز مرة هذه الأبيات[1]: (الخفيف)

قد نُقَضِّي النهارَ إلا بقايـــــا   من شُعَاعٍ مُخلَّقٍ للأصيلِ
وُاتانا الظَلامُ من قبل الشَّرْ   ق فأهلاً منه بخَير نزيلِ
دام هذا وذا بطول بقاء الـ   ـحكم السيد الفتى المأمولِ

وإذا تركنا ذلك كله وانتقلنا إلى حرائر الأندلس فسنجد أن لبعض الحرائر اهتماماً بمجالس الأنس والطرب ومن هذه المجالس مجلس ولادة بنت المستكفي (فكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا" لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وإلى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخالط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب[2].وذلك لتميزهن بحضور النادرة وسرعة التمثل وخفة الروح .

وهناك نساء كثيرات كانت لهن نوادر وطرائف ، ومن ذلك ما روى أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل، وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم إليها ، فتشير عليه بما يحكم به، فكتب إليه بعض أصحابه مداعبا" بقوله[3](المتقارب)

بلوشةُ قاضٍ له زوجةٌ   وأحكامُها في الورى ماضيه

[1] الذخيرة: ق١م١/٤٢٩- وكذلك : التكملة لكتاب الصلة: ٣٥٨/١ – وأيضاً : احسان عباس - *تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة* - دار الثقافة – ١٩٦٠م - ط٢ص٥٣

[2] *الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة*-ق١م١/٤٢٩ – وكذلك :*نفح الطيب* ٣٣٨/٥: ٤٠١

[3] التكملة لكتاب الصلة- ٣٥٨/١ وينظر كذلك: نفح الطيب ٢٩٤/٤ وأيضاً : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله عفيفي ، مطبعة المعارف ، ط١، ١٩٣٠م .

فيا ليته لم يكنْ قاضيًا ويا ليتها كانتِ القاضيه

فأطلع زوجه عليها ، فحين قرأته قالت: ناولني القلم فناوله ، فكتبت بديهية: (مجزوء الرجز)[1]

هو شيْخٌ سَوْءٍ مُزْدَرِئْ لـــه شيوبٌ عاصيــــه

كلا لئن لمْ ينْتَـــــه لَنسْفَعَن بالناصيـــــه

ومن هنا نرى أن المرأة الأندلسية لا تقل عن الرجل في المضمار الثقافي بل كانت لها اهتماماتها الثقافية المبكرة كما طرقت مجالات واسعة في العلوم والأدب.

هذا ، وكانت نساء الأندلس شواعر وعالمات وكاتبات ... إلخ نتيجة حتمية ، وثمرة طبيعية لذلك المناخ الواعد ، ولذلك التلاقي بين حضارتي الشرق والغرب نالت به المرأة الأندلسية المكانة السامقة والشهرة الذائعة الصيت ، وظلت كلماتهن تتردد وتتناقل من جيل إلى جيل ، تعكس ما بلغته الأندلس من قوة وحضارة . كما أن عدد الشواعر في الأندلس كان من الوفرة والنضوج بحيث شكل ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي ، فلهن من ناحية القول والصياغة والجرس والإشراق والرصانة والجزالة والإطراف ما يدفع بالدارس إلى ضرورة الوقوف في ساحته بعض الوقت فاحصا متأملا مستبينا ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع .

الأغراض الشعرية :

شعر المرآة الأندلسية يعطي صورة أكثر تعبيراً عن تفتّح المجتمع وحرية المرأة في إطار الطبقة الأرستقراطية . فأشعار ولادة بنت المستكفي

---

[1] نفح الطيب ٤/٢٩٤

ونزهون القلاعية و حفصة الركونية وغيرهن ، مع أن هذه الأشعار في معظمها من المقطعات والأبيات المتفرقات ، تُعبّر عما وصلت إليه الطبقة الأرستقراطية في مجتمع الرفاهية والاختلاط والبيئة الخضراء والحرية الفكرية.. مما منح المرأة **المندمجة في الطبقة ؛ حرةً كانت أم جارية، فرصةً أن تُصبح جزءاً عضوياً في البنية التركيبية لهذه الطبقة**[1].

يضم شعر المرأة الأندلسية أغراضا مختلفة[2] ، لم تبتعد بوجه عام عن الأغراض الشعرية التي طرقتها الشاعرة في المشرق في أغراضها ومعانيها.

غير أن شاعرات الأندلس قد أفسحن لشعرهن مكانا رحيبا وفرضن وجودهن بصورة لم تحدث للقلة من زميلاتهن في المشرق ، ومع أنهن لم يسهمن في كل فنون الشعر و موضوعاته ، إلا أنهن ارتبطن بهن في مشاعرهن فانعكس ذلك على شعرهن ، ومن ثم أصبح إنتاجهن الشعري منسوجا على منوالهن في الأغراض التقليدية .

ويأتي تمتع المرأة الأندلسية بكامل حريتها في ظل بيئة جديدة ؛ تلك البيئة التي كان لها الأثر الكبير على شخصية الشاعرة الأندلسية مما جعلها تقول الشعر في المواقف التي تتطلب ذلك ، فلم ترتبط تقاليدها بأعماق وأثقال كتلك التي ارتبطت بها بيئة المشرق ، ومن هنا شاركت الشاعرة الأندلسية في جل فنون الشعر وأكثر أبوابه .

---

[1] ومع ذلك فإن أميليوغارسيه غومس في كتابه (الشعر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس -مكتبة النهضة العربية- سلسلة الألف كتاب- رقم ٩٥) لم يأت بنماذج من شعر الشاعرات، ولم يذكر منهن إلا حفصة الركونية وولادة ونزهون بشكل عرضي، رغم انه قال (وتألقت في سماء غرناطة ثُريّا باهرة من الشواعر نذكر منهن حفصة الركونية التي أعادت إلى الأذهان ذكر الرميكية (اعتماد) والمعتمد بما كان بينها وبين أبي جعفر بن سعيد من هوى موصول) ص ٦٨، ووصف ولادة بأنها (كانت أميرة من صُلب ملوك، ولكنها امرأة رجلة بالغة الظرف والأناقة..) ص ٤٩. وجاء على ذكر نزهون القلاعية في مجال المجون والتبذل مشبها إياها بابن حجاج في علاقتها بالشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى خاص، ص ٦٣.

[2] انظر : [2] الذخيرة - التكملة لكتاب الصلة – نفح الطيب :وكذلك : ابن سعيد - المغرب في حلى المغرب – تحقيق د/شوقي ضيف – دار المعارف

كانت تتغزل في الرجل كما يتغزل فيها، كانت تمدح وتفخر في ظل أنوثتها ، كانت تهجو ولا تتورع من ذكر العورات ، ولم تستح من ترديد بعض الألفاظ غير الخادشة للحياء ، وسجلت أشعاراً رقيقة في الشكوى وبث *الألم* وفي المداعبة والظرف والشعر القصصي . وفي الحنين والتهنئة . ويجمع أكثر شعرهن بين فصيح المنثور، ورقيق المنظوم . وفي الصفحات التالية سنتناول الأغراض التي تطرقت إليها الشاعرة الأندلسية .

الغزل :

الغزل هو التغني بالجمال ،هو بوح صادر من الرجل أو من المرأة ، وفي كلا الحالين هو الألق الذي ترنو الروح إليه . ويعد من أقدم الفنون الأدبية ، وألصقها بالشعر الغنائي، والصادق من هذا الفن هو الذي يصدر عن أعماق النفس وأن يكون معبرا" عن أرهف الأحاسيس البشرية لأنه في حقيقته ، وفي جذوره النفسية اللاواعية مظهر من مظاهر التوق إلى الخلود بالاتحاد بالجنس الآخر لتأمين ديمومة الحياة ، وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان" [١].

والغزل هو تعبير عن أثر الجمال الأنثوي ؛ رجل / امرأة ، في النفس بأسلوب فني بديع يضاف إليه شيء من نسيج خيال الشعراء ، وهذا إما أن يصور المحب مشاعره أو ما يعانيه من وجد وشوق تجاه الحبيبة ، وما يلاقيه من آلام جراء البعد والصد ، وهذا ما يسمى بالغزل العفيف وإما أن يكون وصفًا دقيقًا لمفاتن المرأة وحركتها وحديثها ، وهذا ما يطلق عليه الغزل الحسي .

"ومُغازَلَة النساء هي مُحادثتُهن ومُراوَدتُهنّ . وكذلك تفعل المرأة بالرجل...وكانت العرب ترى انه لا يقول الرجل في المرأة شعرًا غزلاً كان

---

[١] محمد عبد المنعم خفاجي - الأدب الأندلسي : التطور والتجديد – دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع- ١٩٩٢م ٤١ وكذلك : حسان أبو رحاب - الغزل عند العرب – مطبعة مصر ط١٩٤٧م ص.١٢

أم نسيب إلاّ وكان عاشقا لها.وتقول العرب أيضا عن المرأة الشاعرة أنها إذا عشقت تغزّلت.[1].."

هو ضرب من ضروب الخِفّة العاطفية لعوامل جينية ، واستعداد نفسي فطري موروث فوق السيطرة لدى الذكر أو الأنثى على حد سواء ، وليس للبيئة دخل فيه... فقد تجده في الأمِّي والمتعلم، الجاهل والمثقف، البدوي والحضري ، القروي والمدني، المراهق والكهل والعجوز ولدى إنسان الأدغال وساكن قمم الجبال على حد سواء ... وقد ظلّ هذا المعنى سائدًا دون أن يطرأ عليه تعديل في التاريخ المعاصر وربما ما عاد أحد يهتم... لكن المشاهد أن العرب ، ولأسباب تتعلق بحساسيتها المفرطة تجاه المرأة قد ذهبت إلى ما ذهبت إليه في تفاسيرها . ولكن المفاهيم تغيرت الآن ولم تعد المرأة تجد حرجا في الشكوى من حَرّ الهوى ، ولواعج الغرام وذكرى الحبيب وسكب الدموع على غدره إن غدر أو غادر الحياة الدنيا... ولم يعد أحد يعيب عليها ذلك بعد أن اعترف لها الذكر بحقوقها العاطفية... لكنها مع ذلك تظل تراوح نفسها في الجانب العذري من العلاقة بعيدًا عن الجوانب الحسية الجوهرية ... ومن ثم تُعَدُّ متحفظة كثيرًا مقارنة بالرجل الذي يبدو حرًا طليقًا يقول ما يشاء .

ويعد الغزل في الأندلس من أكثر أغراض الشعر الأندلسي تداولًا بين الشعراء ولا غرابة فالغزل " كان ينساب على شفاه شواعر الأندلس وهن يتحدثن ويتوددن إلى الرجل "[2] . لقد بلغ غزل المرأة بالرجل في الأندلس باعاً باعاً لم يـــسبق من الحرية في المجاهرة حتى كن يجاهرن بعشقهن للرجال ويتغزلن دون أن يخشين في ذلك لومة لائم ودون رادع من خجل أو شيء من حياء .

---

[1] عيسى سابا – غزل النساء – دار العلم للملايين – بيروت ط١ ١٩٥٣م ص ٢٣
[2] منجد مصطفى بهجت – الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة - دار الياقوت – ٢٠٠٦ م ص ١٢٤

تغزلت المرأة الأندلسية بحبيبها مثلما يتغزل الرجل بحبيبته ، وهذه الظاهرة تعد من أبرز السمات في غزل الشاعرات الأندلسيات ، إذ اقتضت الطبيعة أن يكون الرجل هو المبادر في إبداء عواطفه والتعبير عن أشواقه " ولا تستطيع المرأة أن تحاول شيئا خشية سوء تفسير الرجل لحركتها ، وما يصدر عن الرجل من تحبب طائش فيبدو لها أمرا طبيعياً ، على حين يظهر ذلك الطيش أليما إذا ما صدر عنها "[١] و المرأة بشكل عام تميل إلى قلبها. كما قال لامارتين : " بأن الله قد وضع عبقرية في قلبها"[٢] . وإذا اجتمعت العبقرية إلى أجواء الأندلس المرحة و حياة الأندلسيين الرغيدة ، الزاهية ، وجدت منفذا للتعبير عن عواطفها، فأقبلت على الشعر لأنه ترجمة لمشاعرها، فالمرأة " لا تُعنى بشيء مثل عنايتها بما له علاقة بشخصها وقلبها "[٣] .

ولا عجب أن تفصح شواعر الأندلس عن حبهن وعشقهن لمن أحببن دون خوف أو خجل ، وان هذه الظاهرة تتكرر كثيراً في الأندلس ولا توجد في المشرق إلا نادراً ، حيث إن الحب في بلاد الأندلس ليس كالحب في المشرق ، إنه شيء آخر " فليس حب ابن زيدون حب الجسد للجسد كما كان عند امرئ القيس ولا الروح للروح بعد أن حيل بين الأجساد كما هو الشأن عند العذريين، بل و لا حب أهل الترف من أمثال عمر بن أبي ربيعة الذي هو إلى اللهو اقرب منه إلى شيء آخر ولكنه اهتمام الفكر بالفكر والشخصية الطموح بشخصية ممتازة فريدة موهوبة "[٤].

---

[١] جبور عبد *النور* - المعجم الأدبي - دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٩٨٤ ص١٨٦

[٢] عيسى سابا - غزل النساء- دار العلم للملايين، بيروت- ط١ - ١٩٥٣م ص٧٦

[٣] غزل النساء ص ٧٦

[٤] سعد إسماعيل شلبي- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧٨ م ص ٤٤٦

نعم إنه بالفعل شيء آخر، إن ذكر ابن زيدون وولادة بنت المستكفي[1] يعني : البوح والكبرياء،الضعف والانكسار ،عواطف جيّاشة ، في حضرتها ينسى الوزير انه وزير ، وتنسى الأميرة أنها أميرة ، فيصبحان عاشقين وشاعرين ، ، لقد بادلته حبا بحب ، وهياما بهيام ، واحترقا بنار الحب والغرام ... وعاشا حياة محمومة بالحب والغيرة والمؤامرات. ثم يفترقان بأفعالهما وفعال الوشاة ويظل مخزون الذاكرة الجمالية من لحظات جميلة هو الديدن والنبع الذي يغسل وحشة الفراق وأحزان الحاضر والبوح بالشعر.

إنه عشق من نوع آخر ، عشق يخلو مـــن الخوف أو القلق ، عشق لا يخشى الرقيب ، لأجل ذلك نجد ولادة بنت المستكفي جريئة في القول والسلوك، تجهر بمكنوناتها ولذاتها ، وتفصح عن حبها وعشقها لابن زيدون، وتصور مغامراتها الليلية بأسلوب يحاكي أساليب الرجال . ليس هذا فحسب بل كانت أحياناً هي البادئة في طلب اللقاء غير هيابة ولا وجلة ، كأن تقول واعدة إياه بزيارة ، وقد هيأت الأجواء بالتعبير عن خوالج نفسها فتقول[2] :(الطويل)

ترقّبْ إذا جَنَّ الظلامُ، زيارتـــي ... فإني رأيت اللــيلَ أكتمَ للســـرِّ
وبي منكَ ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ ... وبالبدرِ لم يطلعْ وبالنجم ِلم يَسْرِ

---

[1] ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن بن محمد المرواني الملقب بالمستكفي بالله وأنها جزلة القول ومطبوعة الشعر ، تخالط الشعراء وتساجل الأدباء وتفوقهم براعة امتازت بالجمال والظرافة والنوادر العجيبة وكانت تهيم بابن زيدون وهو يهيم بها وتبادلا أشعار الحب والهوى انظر الصلة:٢ / ٦٥٧ ، الضبي- بغية الملتمس- تحقيق إبراهيم الابياري- دار الكتاب العربي ١٩٦٧م ص٥٣١ ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ق١م١/٤٣١ ، نفح الطيب: ٣٣٦/٥ –٣٣٧ . لقب ابن زيدون وولادة بروميو وجولييت الأندلس.. أشهر قصة حب في زمن الأندلس .. تم وضع نصب تذكاري في عام ١٩٧١م في قرطبة لتخليد قصة حبهم وبمناسبة الذكرى ال ٩٠٠ لوفاة إبن زيدون.

[2] نفح الطيب ٢٠٦/٤

إن غزل ولادة[1] لا قلق فيه أو اضطراب ، فيه من التماسك الشيء الكثير ، وقد أحسنت في الإفصاح عن عواطفها من غير تعثر أو تصنع ، وما ذلك إلا ثمرة لحياة الأندلس الاجتماعية ، ومجالس الأنس واللهو " التي تستدعي غزلاً لا يخلو من اللوعة والرقة ."[2]

وكان لجمال طبيعة الأندلس وما تركه هذا الجمال من انطباعات في نفوس شعراء الأندلس ، من رقة الطباع والمشاعر، الأثر البارز في انقياد الشاعرات لعواطفهن وخضوعهن لمعاناة التجربة " فأحبت وفاض حبها غزلًا رقيقاً " [3]

" أم العلاء الحجارية[4] " لها شعر يخالف في المنهج ما سبق إذ يفيض شعرها الغزلي رقة وعذوبة وحياء ، تقول :(الرمل)

كل ما يصدر منكم حسن وبعلياكم تحلى الزمن

تعطف العين على منظركم وبذكراكم تلذ الأذن

ومن يعش دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يغبن

جمعت الأبيات الثلاثة ؛ العطف والحنان والإعجاب ، يطل الغزل من بينها مستحييا بل متواضعا ، لكنه تواضع لا ينال من عمقه وى يقلل من شأن أبعاده ، غزل جمع بين الرقة والأدب والعذوبة .

كانت لشاعرات الأندلس من الحرية الواسعة بحيث يقلن يجاوز حدود الأدب والاحتشام ؛ لهذا فان الكثير منهن أطلقن عنان خيالهن في كل شيء دون خوف أو حياء.

---

[1] تقابلها جراءة الشاعرة اللبنانية زينب بنت فواز العاملية" توفيت عام "١٩١٤م فلها ديوان شعري فيه غزل رقيق يدلل على جراة صاحبته : سرى غرامك في قلبي وفي جسدي * لذاك آثر إشعاعـــا وإحراقـــــا
كلـــي بكلـك مشغـــول ومـــرتبط * فلست أشكو إلي لقياك أشواقا
واصبح القلب مـــن وجـــد يذوبه * نور الشبيهة تهياماً وإشفاقاً

[2] البيئة الأندلسية واثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف: ٤٤٦

[3] المرجع نفسه ص٤٥٠

[4] الحجارية نسبة الى وادي الحجارة في شمالي الاندلس واطلق عليها لقب (البربرية) عاشت في القرن الخامس الهجري وذكر أن لها قصائد وموشحات . المغرب في حلى المغرب ٣٨/٢ – نفح الطيب ٥/ ٣٠١

ويتبادر إلى الذهن اجترار " ولادة "مشاعرها ، وقد عبرت في غير قليل من الاحتشام ومزيد من الحرية عن حزنها لفراقها ابن زيدون ، قضيا الوقت معا ، ووفت بما وعدت وانصرفت ، وطال الفراق فكتبت تقول[1]: : (الطويل)

ألا هَلْ لَنا مِنْ بَعدِ هذا التَّفَرّقِ ... سَبيلٌ فَيشكو كُلُّ صَبّ بما لَقي؟
وقدْ كُنتُ أوْقاتَ التّزَاوُرِ في الشّتا ... أبيتُ على جَمرٍ من الشّوقِ مُحرقِ
فكيفَ وقد أمسيتُ في حالِ قطعةٍ ... لقدْ عجلَ المقدار ما كنت أتّقي
تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضي ... ولا الصبر من رقّ التشوّق معتقي
سَقى اللَه أرضاً قد غدت لك منزلاً ... بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدق

لم تكن ولادة وحيدة الأندلس في الجرأة وقلة الاحتشام ، بل برزت إلى جانبها شواعر كثيرات كان لهن حظٌّ وفير من الحرية ، بحيث يقلن ما يصعب أن يتقبله مجتمع غير المجتمع الأندلسي . ومع ذلك تبقى ولادة الأميرة الفاتنة التي علمت كل العشاق كيف تنتصر لذاتها .

أجل ، نجد " حفصة الركونية "[2].التي تعد من ابرز شاعرات الغزل التي قصرت جل شعرها على صاحبها الوزير ابو جعفر ، قد رسمت بشعرها تجربتها مع من تحب من غير أن يحول الوقار بينها وبين التعبير عن هذه التجربة ؛ إذ تقول – وقد بلغ بها التحرر حد التصريح لا التلميح –، مجاهرةً بعلاقتِها الغرامية وبالوصال الذي عايشته معه فتقول[3] :(الطويل)

[1] نفح الطيب ٢٠٦/٤
[2] حفصة الركونيةَ: شاعرة واديِة مشهورة بالجمال والحسب والمال من اهل غرناطة وتعد أستاذة الشواعر في عصرها لكونها تمتلك قوة شعرية هائلة - وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، وتولع بها وبينما هي كانت تبادل الحب مع وزيره ابو جعفر، نفح الطيب: ٣٠٣/٥ ، زينب فواز- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور- مكتبة مشكاة الإسلامية الاليكترونية ص ١٦٦ ، عمر رضا كحالة - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام – مؤسسة الرسالة: ٢٦٨/١
[3] نفح الطيب ٥/ ٣٠٣ – وكذلك : علي جواد الطاهر وآخرون - المنهل في الأدب العربي. العصر العباسي و الأندلسي – المكتبة الأهلية – بغداد ١٩٦٢م ص ١٧٠

ثنائي على تلك الثنايا لأنني ... أقولُ على عِلْم وأنطقُ عن خُبْرِ
وأنْصِفُها لا أكذبُ اللهَ،أنني ... رشفتُ بها ريقاً أرقَّ من الخَمْرِ

حفصة شاعرة لم تجد في ذلك العصر حرجاً في الكشف عن لهفتها وشدة اشتياقها للحبيب! تعلنها صريحة في أبيات عذبة تضع فيها حفصة الركونية من المحسنات البديعية ما يضفي عليها حسناً وجمالاً دون أن يخل بروعتها هذا ، ومن المتعارف عليه أن المرأة مهما بلغ بها العشق ، وصنعت بها الصبابة ، فإنه يجمل بها ، ولو من باب المراعاة لجنسها أن تخفي بعض ما تجد – وأن تكون مطلوبة لا طالبة، ومرغوبة لا راغبة– ، لكن شاعرتنا عكست الآية ، وتجاوزت المألوف عندما أهدت مقطعتها إلى من تحب ، وقد تناست– عن عمد – دلال المرأة وكبرياءها، ولم تكتف ، بل تلح معبرة عن استسلامها، حين دعته إلى اللقاء لشدة شوقها ووهج حبها قائلةً[1]:(الوافر)

أزورُكَ أم تزورُ ؟ فإنَّ قلبي ... إلى ما تَشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عذبٌ زلال ... وفرعُ دؤابتي ظلٌّ ظليلُ
وقد أمّلتُ أن تظما وتضحى ... إذا وافى إليكَ بيَ المقيلُ
فعجِّلْ بالجوابِ فما جميلٌ ... إباؤك عن بثينة ياجميلُ

ورغم أنها قد وضعت معشوقها في موضع التخيير (أزورك أم تزور؟) فإنها لم تفعل ذلك بل ذهبت إليه وطرقت بابه في جرأة ، وأهدته بطاقة كتبت عليها شعراً يتدفق إثارة وشوقاً وتحريضاً[2]:(الخفيف)

زَائِرٌ قَدْ أتَى بِجِيدِ الغَزَالِ ... مُطْلِعٌ تَحْتَ جُنْحِهِ لِلْهِلالِ
بِلِحَاظٍ مِنْ سِحْرِ بَابِلَ صِيغَتْ ... وَرُضَابٍ يَفُوقُ بِنْتَ الدَّوَالِي

[1] نفح الطيب ٥/ ٣٠٧- وكذلك : المتهل في الأدب العربي. العصر العباسي و الأندلسي ص ١٧٠
[2] نفح الطيب ٥/ ٣١٠- المغرب في حلى المغرب ١٦٦/٢

يَفْضَحُ الوَرْدَ مَا حَوَى مِنْهُ خَدٌّ ... وكَذَا الثَّغْرُ فَاضِحٌ لِلآلِي
مَا تَرَى في دُخُولِهِ بَعْدَ إِذْنٍ ... أَوْ تَرَاهُ لِعَارِضٍ في انْفِصَالِ

جريئةٌ في طرق معشوقها و السعي إليه وهي مثيرة و محرِضة في أبياتها التي وضعت فيها نفسها مصورةً مفاتنها ، مفصلة محاسنها ، ومع ذلك فهي مهذبة متذللة في طلب الإذن بالدخول[1] .

وما أجملها هذه التحية الشعرية الصادرة من الشاعرة حفصة الركونية إلى محبوبها أبي جعفر الذي سافر بعيداً عنها مرسلة إليه سلاماً محملاً بعبير الحب ، فتنطلق تسجع بعذوبة حاكية قصة الحبيب ، الذي هو راقد في أعماق نفسها رغم البعاد ، بقولها[2]: (المتقارب)

سلامٌ يُفتِّحُ في زَهْــــره الـــــــــ كِمَامَ ويُنْطِقُ وُرْقَ الغُصُونْ
على نازحٍ قَدْ ثَوَى في الحَشَا وإن كانَ تُحْرَمُ مِنْهُ الجُفُونْ
فلا تَحْسَبُوا البُعْدَ يُنسيكمُ فذلِكَ واللهِ مـــــــــــــاَ لا يَكُونْ

إنها الحرية التي حظيت بها المرآة الأندلسية وشهدها المجتمع الأندلسي ، الحرية التي أفسحت المجال أمام الشاعرات لحضور مجالس الرجال ومساجلتهم و مهاجاتهم ، أو التغزل بهم والجهر بعلاقاتهن بهم .

---

[1] لقد فتحت شواعر الأندلس الباب لمثيلتهن في العصور التالية وهاهي شاعرة الحرية فدوى طوقان تبثنا أبياتا في الإفصاح عن مكنونات قلب فتاة وأظنها هي - صادفت رجلا في طريق فأحبته، وتخيلت أنه فهم معنى نظراتها إليه فابتسم لها فعشقته، ثم راحت تسقي عشقها خيالا حتى اتقدت جذوته واعتقدت أنه سيأتيها فانتظرته وظلت... وظلت تنتظره، ومع الانتظار اتقدت نار الشوق فيها ولم تجد من يرويها، فأذابت حتى الصخر :

تمضي وأمضي مع العابرين * وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسامة على شفتيك * ووهجُ هُيامٍ بعمقي استعر
وقد هبط الليل حلو الغموض * خلوبَ الرؤى عبقريَّ الصور
وماجت مع الريح خضرُ الكروم *مشعشعة ببياض القمر
وفاض الوجود شعورا وشعرا *وذاب مع الوجد حتى الحجر

[2] نفح الطيب ١٧٥/٤

والغيرة على المحبوب من شيم المحبين ، وفي الشعر العربي الكثير من وصف آلام الغيرة ، وما تبعث في نفوس المحبين من قلق واضطراب ، ويقترن حب المرأة بالشعور بالغيرة ، فالمرأة إذا أحبت فقدت – في أغلب الأحوال – عقلها، فهي تذوب عشقاً في محبوبها حتى يخيل إليها – وحدها – أنهما قد صارا شيئا واحدًا لا فراق ولا شتات ، فإذا ما تملكتها الغيرة تجاه من تحب ، أنشدته ملتاعة بحبه ناعمة به سعيدة ، غير منكرة غيرتها ؛ التي لا تماثلها غيرة ، حتى أنها تغار منه، ومن كل ما يحيط به من زمان ومكان، إذ تقول [1]: (الوافر)

أغارُ عليكَ مِنْ عَينَيْ رَقِيبِي ولَوْ أَنِّي خَبَأْتُكَ في عُيُونِي
ومِنْكَ ومِنْ زمَانَكَ والمكانِ إلـــى يَوْمِ القيامةِ مـــا كَفَانِي

إنه شدة ذوبان المحب في محبوبه ، ورغبة منها في التملك الذي ظل ينازعها في حياة محبوبها وبعد مقتله [2].

و"حفصة بنت حمدون "[3]لها حبيبٌ يتمادى في كبريائه ، ليس له مثيل، كما أنها بدورها ليس لها شبيه في حبها له ؛ فالغرور متبادل بين الاثنين ، تقول:[4] (الخفيف)

لي حبيـــبٌ لاَ يَنْثَنِـــي لعتـــابٍ * وإذا ما تـــركتُه زاد تِيهـــا

[1] الطاهر أحمد مكي - دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة دار المعارف ط٢ ١٩٨٢م ص ٨٤
[2] لسان الدين ابن الخطيب - الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق : د/ يوسف علي طويل – دار الكتب العلمية، بيروت سنة ٢٠٠٣م. ٢٢٧/١
[3]، حفصة بنت حمدون. شاعرة واديبة نشأت في وادي الحجارة (Guadalajara)بالاندلس لم يعرف سنة ولادتها ولا وفاتها غير انها من اهل المائة الرابعة ، وتعد رائدة من رواد الغزل في عصرها. ابن سعيد - المغرب في حلى المغرب – تحقيق شوقي ضف – دار المعارف ط٤: ٣٢/٢ ، ، نفح الطيب : ٢١/٦ ، الدر المنثور: ١٦٥. التكملة لكتاب الصلة : ٢٤٨/٤ ، اعلام النساء: ١/ ٢٧٢، خير الدين الزركلي – الأعلام – دار العلم للملايين ط١٥ ٢٠٠٢م- ٢٦٤/٢
[4]نفح الطيب٢١/٦ – المغرب في حلى المغرب ٣٨/٢

قال لي :هل رأيتِ لي من شبيه؟ * قلتُ أيضا وهل ترى لي شبيها

جمعت حفصة في بيتيها بين الاعتراف الصريح بما تكنه من مشاعر وبين إظهار شخصيتها كأنثى، وإبداء الدلال والتيه على من يدل عليها أو يتيه ، مستمسكة كل الاستمساك بكبرياء المرأة ذات الجمال .

ومن المعشوقات من يندفعن بجرأتهن إلى المصارحة والطلب إلي المعشوق، أن يظهر هواه ، فقد بلغت المعاناة في الهوى الشيء الكثير . وها هي "منفعة"[1] تتغزل بين يدي الأمير "عبد الرحمن بن الحكم "، مطالبة إياه الإفصاح عن هواه ، مُصرِّحةً أن قلبها لم يعد طوع أمرها مذ أحبته وقد صاحبت شعرها بالغناء[2]: (المجتث)

يا مَـــنْ يُغَطِّي هَوَاه ... مَـــنْ ذا يُغطِّي النّهارا
قَدْ كُنْـــــتُ أملِكُ قَلبِي ... حتـــى علقْتُ فَطَـــارا
يا ويلتـــــا أتـــراه ... لــــي كان أو مُسْتَعَـــارا

وفي جانب آخر نجد " أم الكرم "[3] وهي من هي من بيت ملكي كلفت بفتى جميل ؛ من فتيان قصر أبيها ، يدعى السمار، من دانة ، قالت فيه مولهة وقد قرنت حبها معاني الكبرياء ، وأعلنت عن عشقها في جرأة غير معهودة [4]: (السريع)

يا مَعْشَرَ النّاسِ ألا فاعجبوا ... مِمّا جَنَتهُ لَوْعَةُ الحُبِّ

---

[1] منفعة شاعرة جارية مغنية امتازت بالجمال وإنها كانت جارية لزرياب وقام بتأديبها وتعليمها أحسن أغانية وعندما علم زرياب بحبها للأمير عبد الرحمن بن الحكم أهداها إليه . نفح الطيب: ١٢٧/٤ ، التكملة لكتاب الصلة: ٢٤٢/٤ ، أعلام النساء: ١١٣/٥

[2] نفح الطيب ١٢٧/٤

[3] ام الكرام بنت المعتصم بالله بن يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي، شاعرة أندلسية من بيت ملكي، حيث كان أبوها ملك المرية . امتازت بالذكاء والفطنة ، فتعهد أباها بتعليمها وتهذيبها، حتى نظمت الشعر والموشحات وتقول العروض . المغرب في حلى المغرب:٢٠٢/٢، نفح الطيب:٣٠٢/٥.

[4] المغرب في حلى المغرب: ٢٠٢/٢

لولاه لَمْ يَنْزِلْ ببدرِ الدُّجــى مِنْ أُفقِهِ العُلْوِيِّ للتُّرْبِ
حَسْبِي بِمَنْ أهواه لَــوْ أنّهُ فَارَقَنِي تَابَعَـــــهُ قَلْبِي

إنه الحب لا يفرق بين أمير أو فقير ، حاكم أو محكوم . أميرة تحب فتى من فتيان أبيها ، وتتعجب من شدة الاشتياق إليه رغم أنه ساكن في الأحشاء والأعماق منها ، ماثل أمام عينيها ، تتمنى الخلوة به بعيداً عن أعين الرقباء. تقول[1] :

الا ليت شعري هل سبيلٌ لخلوةٍ يُنَزَّهُ عنها سمْعُ كلَّ مُراقب
ويا عجباً أشتاقُ خلوةَ مَنْ غَدا ومثواه ما بين الحشا والترائب

ولنا أن نتساءل هل هو الحب حقاً ؟ أم الفراغ ورغد العيش والبعد عما هو مألوف إلى ما يخالفه ؟ حين تتمرد الأميرة على التقاليد الملكية والطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها وتندفع قلباً وقالباً تجاه فتىً من فتيان القصر ، وتتجاوز الأعراف والتقاليد مجاهرة بهذا العشق الذي تناقلته الأجيال حتى وصل عصرنا ؟ .

إنه مناخ الحرية والأمن والاستقرار الذي نعمت به الأندلس فترة من الزمن دفع الكثيرات إلى ملء أوقاتهن والخروج من الدائرة المألوفة إلى ما يشبع النفس ويسعدها ولعلها الديمقراطية التي تذيب الفوارق بين الطبقات حكاماً ومحكومين .

ولم يقتصر ذلك على البيوتات الملكية أو الطبقة الأرستقراطية فحسب ؛ بل ثمة شواعر أخريات نظمن مثل هذا الشعر وهن من الجواري .

[1] المغرب في حلى المغرب ٢/٢٠٢

منهن " انس القلوب"[1] وأمنيتها الوصول إلى من تحب لشدة ما تلقى من الوجد :(الخفيف)

يا لقومٍ تعجبوا من غــــــزالِ جائرٍ في محبتي وهْو جـــاري
ليت لو كان لي إليه سبيـــــلٌ فأُقَضيٍّ من الهوى أوطـــاري

و"نزهون القلاعي"[2]؛ التي تجاوزت حدود المباح ، والتي اشتهرت بجرأة تصل إلى حد الابتذال ، تكشف عن عشقها دونما حياء،و تتحدث عن العشق حديثاً مكشوفاً ؛ حيث قالت تصف ليلة من ليالي مباذلها[3]) البسيط)

لله در الليالي ما أحيسنُها وما أُحَيْسِنُ منها ليلة الأحد
لو كنتَ حاضِرَنا فيه وقد غفَلَت عينُ الرقيبِ فلم تنظر إلى أحد
أبصرْتَ شمسَ الضحى في ساعَدَيْ قَمَرٍ بل رِيمَ خازِمةً في ساعَدَيْ أسد

ولا شك أن ميل الأندلسيين إلى التحرر، وانتهاز فرص العيش الرغد، وحرصهم على تحقيق الانسجام مع ما وهبه الله للأندلس من غنى وتنوع ، وجمال في الطبيعة والمخلوقات، قد فتح الباب أمام الشواعر لنظم الشعر والتحرر من قيود لم تستطع مثيلتهن في الشرق كسرها أو الدخول في متاهات نبذها .

أنهن شاعرات جهرن بالعشق في زمن الصمت ؛ ذلك الزمن الذي سادت فيه القواعد الشرعية على ما عداها من قواعد اجتماعية ، في مجتمع

---

[1] انس القلوب: جارية اندلسية شاعرة وان انس القلوب ليس اسمها الحقيقي وانما اتخذ لها ليرتفع ثمنها عند بيعها مع الجواري ، وذاع صيتها وكانت تغني في مجالس الانس في قصور الملوك واحبت الوزير ابا المغيرة بن حزم و بشعرها أفصحت عن عاطفتها وحبها له. نفح الطيب : ١٤٦/٢ ، اعلام النساء : ٩٧/١

[2] نزهون بنت أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن غالب الغساني من حرائر الأندلس، أديبة وشاعرة غرناطية مشهورة امتازت بخفة الروح والطبع ،حفظت الشعر وأمثال العرب، فاقت نساء العصر في جمالها ونبوغها، سريعة الخاطر والبديهة وحاضرة الجواب ، وشاحة صداحة ،وصلت إلينا موشحة واحدة فقط . نفح الطيب: ٣١/٦، الدر المنثور: ٥١٩، التكملة لكتاب الصلة: ٢٥٨/٤

[3] هكذا وصفتها المصادر

عَرف في الأصل التقاليد الصارمة في أعراف قبلية عريقة ، و تلك الأبيات غيض من فيض مشاعرهن ، إذ نجد في غزلهن أبياتا رقيقة مردّها انفعالهن وقدرتهن على تصوير عاطفة الحب على نحو يجذب المتلقي ويقتنع بأنهن مرن فعلا في التجربة . امتاز غزلهن بالرقة والدماثة و إبراز مفاتنهن وبيان سحرهن .

إن شيوع هذه الظواهر في سلوك المرأة الأندلسية وأشعارها مردّه إلى التفاعل الاجتماعي الذي شهده المجتمع الأندلسي ، فـقد حدث امتزاج بين العرب والأسبان من خلال المصاهرة واقتناء الجواري الأسبانيات ، وكانت نساء الخلفاء والأمراء والولاة – أغلبهن –، وأبناء الطبقات الرفيعة ، من الجواري الأسبانيات ، مما أدى إلى انتقال كثير من العادات الأوروبية إلى المجتمع الأندلسي، وعلى رأسها الاختلاط بين الرجال والنساء . مما كان له عميق الأثر على الأسرة الأندلسية .

كما ترك أهالي البلاد أسباني الأصل ؛ و الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي ، تأثيرات واضحة في خصائص المجتمع الأندلسي وفي سلوك أبنائه وسلوك المرأة الأندلسية .

كانت جميعها عوامل أدت إلى شيوع هذه الظواهر في شعر المرأة الأندلسية . وقد كانت هذه الظواهر أكثر بروزاً في شعر الطبقات الثرية والمترفة منها في شعر الطبقات الفقيرة.

إن تغزل الشاعرة الأندلسية بالرجل دون تستر أو مواربة ، دال على " انفتاح شخصية الشاعرة الأندلسية على آفاق جريئة في الغزل " [1] ، الذي

---

[1] إميليو جارثيا جوميث - الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه - ترجمة حسين مؤنس – دار الرشاد ٢٠٠٥م

عبرت فيه عن العذاب الذي تلقاه وعلى ما تعانيه ، واصفة حالها وقد أصبحت ذليلة لمن تحب وعبدة لحبيبها ، بيد أنها سعيدة بذلك ، شديدة الحرص عليه ، وما ذلك إلا لتفوز بقلب المحبوب ونيل رضاه. فالمحبة ذليلة والمعشوق لا يرحم ، ومن هنا نشأ عند الشاعرة الأندلسية ما يسمى بـــ"الحب المعذب" ، الذي دفع عدداً من شاعرات الأندلس إلى الوقوف عند نافذة الغزل الصريح "المكشوف" ، لتعلن كل واحدة منهن بطريقتها الخاصة ما كانت تعانيه من اللوعة والصبابة ، وما كانت ترغب فيه وتشتهيه من المحبوب، فراحت تعبر عن مشاعرها ، بشعر رقيق ، يحلق بها خيالها في فضاء رحب،فيملأ الدّنيا غزلاً بصورة لا يتقبلها أي مجتمع عربي دون المجتمع الأندلسي .

المديح

المديح وليد عاطفة الإعجاب التي تثير في نفس المادح الانفعالات التي تدفعه إلى نظم الشعر في إظهار صادق شعوره نحو الممدوح بذكر محاسنه . إنه الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفيسة كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة . فهو بذلك نوع من الشعر يقوم على " تعدد المحاسن ، وتعداد المزايا ووصف للشمائل الكريمة ، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه لمن توافرت فيهم تلك المزايا"[1] ، إنه بإيجاز فن العلاقات العامة ومعرفة أسرار النفس البشرية وإدراك خفاياها .

ولقد كان لهذا الفن المساحة الواسعة بين فنون الشعر، والقِدْحُ المُعَلَّى في التراث العربي منذ أن" كان الشعر سليقة على لسان العرب في جاهليتهم مروراً بكافة العصور الأدبية "[2] .

---

[1] نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة٢٠٠٦م ص ٨٦

[2] جبور عبد النور – المعجم الأدبي –دار العلم للملايين – بيروت ط٢ ١٩٨٤م ص ٢٤٥

احتل المدح – بطبيعة الحال – مكانا واسعا في الشعر الأندلسي ، و"حافظ على الأسلوب القديم وكان الشعراء يعنون بالاستهلال وحسن التخلص ، وربما جعلوا صدور مدائحهم وصفاً للخمر أو للطبيعة أو لبلد الشاعر أو للمرأة المحبوبة ، وقلما شذ بعضهم عن هذا السبيل[1] ".

وقد اتخذ بعض الشعراء المديح وسيلة للتعبير عن أرائهم الدينية والاجتماعية ، وطريقاً للتقرب من الخلفاء و الولاة ؛ حيث كانوا يمدحونهم في مختلف المناسبات الاجتماعية ، ويسجلون مآثرهم ومعاركهم وفتوحاتهم ، ومن هنا كان لهذا اللون الشعري في الأندلس ما له في المشرق من قيمة تاريخية.

والشاعر – غالبا – ما كان يعرض مديحه بطريقة " فيها الكثير من المبالغة والمجاملة وحتى المنافقة ،وفي بعض الأحيان يلازمه الصدق وتعظيم المثل العليا، وتمجيد القيم الرفيعة [2]"وسارت الشاعرة الأندلسية على خطى الشعراء ، فكانت في مديحها صادقة تارة ومجاملة تارة أخرى ، لتحقق من ورائه ما تصبو إليه. وتوجهت بمديحها إلى مختلف الطبقات ؛ من ملوك ووزراء .

تلقانا " أسماء العامرية "[3] . كتبت إلى الخليفة "عبد المؤمن بن علي" ملك الموحدين رسالة نمت فيها إليه بنسبها العامري ، سائلة إياه رفع الإنزال عن دارها والاعتقال عن مالها ، خاتمة رسالتها بأبيات تضمنت في مطلعها مدحاً للخليفة[4]: (الوافر)

---

[1] جودت الركابي - في الادب الأندلسي دار المعارف -١٨٦٦م ص١٤٤

[2] شوقي ضيف- دراسات في الشعر العربي – دار المعارف ٢٠٠٣م ص ٢٨٥

[3] *أسماء العامرية* شاعرة أندلسية، من أهل إشبيلية، كانت على صلة بأسرة المنصور، عاشت في القرن الثاني عشر. ينظر : نفح الطيب : ٢٨/٦ ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ط٢ ، ١٩٥٩م : ٥٦/١.

[4] نفح الطيب : ٢٨/٦ وكذلك : محمد مجيد رزيق السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين الدار العربية للموسوعات ١٩٧٤م ص ١٧٧

عرفنَا النّصرْ وَالْفَتْحَ المبينا بسَيِّدِنا أَميرُ المؤمنينــــــــا
إذا كَانَ الحَدِيثُ عَن الْمَعَالِي رَأَيْتُ حديثكمْ فِينا شجونا
رويتُمْ علمه فَعَلِمْتمُوه وُصنتم عَهَده فغدا مصونا

والأبيات تدل على مدى جرأة الشاعرة ولباقتها،التي مكنتها من مخاطبة الخليفة متجاوزة الحجب ، مطالبة إياه رفع الظلم عنها وعن مالها [1]. وقد لجأت الشاعرة إلى الاقتباس من القرآن الكريم لتؤكد ارتباطها بالتراث وتقوي أشعارها ولغتها ، لأن المتلقي عندما يحس أن الشاعر – رجل أم امرأة – يشعر بثراء ذلك الشعر وقيمته الفنية .

تتعدد النماذج و الأهداف فها هي " حسانة التميمية "[2] نلقاها لاجئة إلى الحــــــكم أمير الأندلس بعد وفاة والدها الذي كان يرعاها ويتكفل حمايتها، وحينما مات لم تجد غير الأمير تشكو إليه وراحت تمدحه بهذه الأبيات[3] : (البسيط)

إني إليك أبا العاصي مُوَجَّعةً أبا الحسينِ سقَتْه الواكفُ الديمُ
قد كنتُ أرتعُ في نُعْمَاه عاكفةً فاليوم آوي إلى نعماك يا حكمُ
أنتَ الإمامُ الذي انقاد الأنامُ له وملّكتْه مقاليدَ النهى الأممُ
لا شيء أخشى إذا ما كنتَ لي كنفاً آوي إليه ولا يعْرُونِيَ العدمُ
لازلتَ بالعِزَّة القَعْسَاءِ مُرْتَدِيًا حتى تُذَلَّ إليك العُرْبُ والعجمُ

---

[1] تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، أخرجه : محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ، ط١ ، ١٩٤٠م : ٣

[2] من أديبات الأندلس وشواعرها ، بنت أبي الحسن الشاعر تعلمت الشعر منه ، وتعد اول شاعرة ظهرت على ارض الأندلس. لأنها ولدت فيها وأنها من أهل قرطبة، وعاشت في كنف والدها ترتع في نعماه ولما توفي أبوها وتركها في رعاية الأقدار لجأت إلى الأمير الحكم بن هشام . نفح الطيب: ٢٩/٥، الدر المنثور: ١٦٤، أعلام النساء: ٢٥٦/١

[3] نفح الطيب : ٣٠٠/٥

والأبيات – كالعادة – ممزوجة باستصراخ أنثوي وطلب العفو عن الشاعرة والعطف عليها . وقد تستمر الشاعرة الأندلسية في المدح بعد قضاء سؤلها وحصولها على ما ترغب فيه عزفاناً ، وإعجاباً واستمراءً ، إنها دون الرجال لا تتعجل في الانصراف والرحيل .
وقد فعلت حسانة التميمية ذلك طواعية عندما مدحت الحكم بن الناصر . بعد تنفيذ طلبها ورفع ظلامتها قائلة[1]:(البسيط)

ابنُ الهِشَامَيْن خيرُ الناسِ مأثرةً وخيرُ منتجعٍ يوماً لِروّادِ
إن هزَّ يَوْمَ الوغى أثناء صَعْدته روّى أنابيبها مِنْ صرفِ فرصَادِ
قُلْ للإمامِ أيا خيرَ الورَى نسباً مقابلاً بين آباءٍ وأجدادِ
جودت طبعي ولَمْ ترضَ الظُّلامَةَ لي فهاك فضل ثناء رائح غادِ
فإن أقمتَ ففي نعماكَ عاطفةٌ وإن رحلت فقَدْ زودتني زادي

وفي مدح الحبيب سارت الشاعرة الأندلسية على سير القدامى في تقليدها لهم ، لاسيما في أسلوب يجمع بين المدح والغزل وهذا ما تجسد في مديح حفصة بنت حمدون ،إذ إنها قد سلطت الضوء على ما كان عليه من فضائل معنوية متمثلة بكرمه وحسن خلقه وبهاء شخصه ، مضمنة مديحها لصفة مادية خصت بها جمال خلقته وهي تقول[2]: (الطويل)

رأى ابنُ جَميلٍ أنْ يَرَى الدَّهْرَ مُجْملاً فكلُّ الورى قد عَمَّهُمْ سَيْبُ نِعْمَتِهْ
لهُ خُلُقٌ كالخمرِ بعدَ امتِزَاجِهَا وأَحْسَنُ مِنْ أخْلاقِهِ حُسنُ خِلقَتِهْ
بِوَجهٍ كمثْلِ الشَّمسِ يَدْعُو بِبِشْرِهِ الـ عيوناً ويُعْشِيهَا بإفْرَاطِ هَيْبَتِهْ

[1] نفح الطيب : ٣٠١/٥
[2] نفح الطيب : ٢١/٦

ومن جانب آخر فان المديح قد يورد مآثر الممدوح النبيلة وخصاله الحميدة المتمثلة بالكرم والشجاعة ورد الحقوق وحماية الضعيف ثم إنه يعطينا إلى جانب هذا صوراً صادقة للجوانب الإنسانية في أروع صورها. و نلاحظ ذلك عند جُلِّ الشعراء المادحين ، بصرف النظر عن مطابقته للممدوحين أو هو نوع من النفاق الصرف فالشاعر والشاعرة يرسمان صورة واضحة للإنسان المثالي في نظرتهما – دون مطابقتها للواقع – في بعض الأحيان يجسمان خلائقه المتميزة من كرم وشجاعة وعفة ووقار .[1]

" فأم الحسن "[2] قد بالغت في مدحها لما عرفت عنه من الهيبة والتفرد في المقدرة الإدارية ، بل جعلته رب الفضيلة بقولها[3] :

إن قِيلَ مَنْ في الناسِ رَبُّ فضيلةٍ حازَ العُلا والمَجْدُ مِنْهُ أصيلُ؟!
فـــــأقولُ رِضوانٌ وحيدُ زمانِـــــهِ إنَّ الزَمـــــانَ بِمِثْلِـــــهِ لبَخِيلُ

وها هي حفصة الركونية وقد غلب على مديحها الطابع السياسي تمدح " أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[4] " ارتجالا" بين يديه متمنيه أن يكتب لها بخط يده عبارة (الحمد لله) ليكون ذلك سبيلا" إلى التخلص من عوادي الدهر ونوائبه " إذ كان سلطانهم يكتب بخط يده في رأس كل منشور:" الحمد لله وحده"، الذي عُدَّ ضماناً لحامله يسلمه عوادي الدهر ونوائبه"[5]فتقول : (المجتث)

يـــــا سيّدَ الناسِ يا مَنْ يُؤَمِّـــــلُ النـــــاسُ رِفْدَهْ

---

[1]شوقي ضيف- دراسات في الشعر العربي – دار المعارف ٢٠٠٣م ص٢٨٧

[2]أم الحسن شاعرة وأديبة من أديبات وشواعر لوشة . امتازت بالنبل والحسب والى جانب أنها شاعرة فهي طبيبة وتجيد قراءة القرآن ، ولها مشاركات في الكثير من الفنون . وذكر أنها ثالثة حمدة وولادة ، الا انه لم يصلنا من شعرها سوى أربعة أبيات . الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٤٣٠/١ ، أعلام النساء: ٢٥٩/١

[3]الإحاطة في أخبار غرناطة ٤٣١/١

[4]عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن علي بن مروان، أبو محمد الكومي: أمير المؤمنين، مؤسس دولة «الموحدين» المؤمنية في المغرب وإفريقية وتونس انظر : الذهبي – سير أعلام النبلاء – مؤسسة الرسالة - ٢٠٠١م – الطبقة التاسعة والعشرون

[5] أ. نيكل البوهيمي - مختارات من الشعر الأندلسي – دار العلم للملايين ١٩٤٩م ص ١٨٤ - ١٨٥

أمْنُــــــنْ على بِطــــــــرْسٍ يكـونُ للدهْـــــــــــرِ دُرَّهْ
تَخُــــــطُّ يُمْنَاكَ فيـــــــــهِ الحَـمْــــــدُ للهِ وَحْـــــدَهْ

وتتجلى العاطفة الصادقة المنزهة عن الغرض والمصلحة ، البعيدة عـــن الأطماع في مديح " قمـــــر البغدادية[1]" لسيدها "إبراهيم بن حجاج اللخمي[2] مصورة مدى فضله عليها وجوده العميم ، ورقة معاملته إياها التي جعلتها تنظر إليه نظرة تقديس وإعجاب ، حيث تقول :

مَاْ فِي المغَاربِ مِنْ كَرِيمٍ يُرتَجَى إلاّ حَلِيفُ الجُودِ إبْراهِيمُ
إنِّي حَلَلْتُ لديْـــــهِ مَنْزِلَ نعْمَةٍ كلُّ المنازلِ ما عداهُ ذَمِيمُ

شاعرات الأندلس صادقات أو منتفعات ، وجدن في المديح طريقا " سهلا" يُنال بواسطته ما يأمل من الممدوح ، فيكررن الأسلوب الذي يبالغ فيه الشعراء من حيث إضفاء الألقاب والنعوت عليه . وبما أن المديح يرتبط بالساسة والحكام وذوي الجاه والنفوذ ، وأن الشاعرة الأندلسية كانت قريبة من رجال الحكم في الأندلس "عندما لقت اهتمام ولاة الأمور بالشعر ووجدت الكثير منهم يصغي إليها ويمنحها الكثير من الهبات والعطايا "[3] . فقد أكثرت من المديح السياسي .

" فهند"[4] وجدت فـــي المديح طريقاً سهلاً تبـــالغ فيه مـــن حيث إضفاء الألقاب والنعوت علـــى الممدوح حيث مدحت الوزير " أبا عامر[5] " ، بعد أن طلب إليها الحضور بعودها[6] :(الكامل)

---

[1] شاعرة أندلسية، جارية بغدادية الأصل، جلبت إلي إبراهيم بن حجاج حاكم إشبيلية (٢٣٨ه) من بغداد وكان لها بالغ الأثر في توجيه الناس إلى الأدب في أشبيلية واهتمامهم به وقد كانت فصيحة اللسان حسنة البيان، على دراية بصوغ الألحان، مع تمتعها بالأدب والظرف. نفح الطيب: ١٣٧/٤ ، الدر المنثور: ٤٥٢ ، التكملة لكتاب الصلة : ٢٤٦/٤

[2] ابو إسحاق إبراهيم بن حجاج اللخمي حاكم إشبيلية وقرمونة في زمن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن. نفح الطيب ٢٦٧/٢

[3] بدير متولي حميد - قضايا أندلسية - دار المعارف - ط١ ١٩٦٤م ص ٣٩

[4] هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي، كانت أديبة شاعرة . التكملة لكتاب الصلة ٢٥٩/٤

[5] محمد بن أبي عامر ، الملك المنصور، سياسي وفاتح عربي أندلسي، أسس الدولة العامرية في الأندلس في خلافة هشام المؤيد بالله. نفح الطيب ٥٤٤/٣

[6] التكملة لكتاب الصلة ٢٥٩/٤

يَا هِنْد هَل لَك فِي زِيَارَة فتية ... نبذوا الْمَحَارِمَ غيرَ شُرْبِ السلسل
سمعُوا البلابلَ قد شدت فتذكــروا ... نَغَمَاتِ عودِك فِي الثقيـــــل الأول

فتجيبه على طلبه ببيتين من الشعر مادحه فيهما نسَبه الشريفَ وعزةَ نفسه ، ناقلةً جوابَها على ما طلب مع رسوله – وكانت هي الجواب –[1]:

يا سيداً حازَ العُلا عَـــنْ سادةٍ شُمِّ الأُنوفِ مِنَ الطِـرازِ الأولِ
حَسْبِي مِنَ الإسراعِ نحوكَ أَنني كنتُ الجوابَ مَعَ الرسولِ المُقْبلِ

كانت " هند " من الكياسة والموهبة الشعرية مما جعلها تأسر بكلماتها من تطرق مسامعه فارتقت بذاتها ومنزلتها فلا تؤمر بل يطلب منها.وها هو"الفتح بن خاقان[2]" ؛ إعجابا بموهبتها الشعرية ، يطلب منها قراءة عدد من الأبيات الشعرية فتلبي النداء مشفعة إجابتها بأبياتٍ من الشعر مادحة فيها عدله وكرمه[3] :

قَدْ جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ وشقّ عنا الظُلْمَةَ الصبحُ
خدينُ مَلْكٍ و رجى دولةٍ وهَمِّهُ الإشْفَاقُ والنُصـحُ
وكُلٌ بابٍ للنّدَى مُغْلَـقٌ فإنمــا مِفْتَاحــُهُ الفَتْــحُ

ومن الشاعرات الأندلسيات من كانت في شعرها جليلة موقَّرة ، وحكيمةً محتشمة بدينها وفضلها ، كـــ " مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري[4]"

---

[1] نفح الطيب: ٦ / ٢٩

[2] الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي، أبو نصر- كاتب ومؤرخ، من أهل إشبيلية .ولد ونشأ فيها. وكان كثير الأسفار والرحلات - من تصانيفه" قلائد العقيان "في أخبار شعراء المغرب، و"مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ". ياقوت الحموي – معجم البلدان - تصحيح: محمد امين الخانجي -طبعه مصر١٩٠٦م ٢/ ٢٤٢- وكذلك : قلائد العقيان - تحقيق وتعليق - حسين يوسف الخريوشي - عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع-الأردن.٢٠١٠م - المقدمة.

[3] معجم البلدان ٢٤٤/٢

[4] وتسمى مريم الشلبية نسبة إلى اصلها من شلب ،ينظر الصلة:٦٥٦/٢ وكذلك: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس - تحقيق إبراهيم الأبياري- دار الكتب المصري ودار الكتب اللبناني، ط٣ ١٩٦١م

وقد أرسل إليها المهدي بعض الدنانير ، فكتبت إليه برد رقيق جميل تقول فيه: (البسيط)

مَنْ ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عمـلِ　　وقَدْ بَدَرْتَ إلى فضلٍ ولم تُسَـلِ
ما لي بشكرِ الذي نَظَّمْتَ في عُنُقـي　　منَ اللآلي وما أوْلَيْتَ من قِبَلِـي
حَلَّيتني بِحُلًى أصبحـتُ زاهيـةً　　بِها على كلِّ أُنثَى مِنْ حُلىً عُطُلِ
لله أخلاقُكَ الغُرُّ التي سُقِيَـتْ　　ماء الفراتِ فَرَقَّتْ رقَّةَ الغَـزَلِ
أشبهْتَ في الشعر مَنْ غارت بدائعُهُ　　وأنْجَدَتْ وغَدَتْ من أحْسن المُثـلِ
من كان والدُهُ العَضْبَ المهنَّدَ لـم　　يَلِدْ من النَّسلِ غير البيضِ والأسَلِ

لم يقتصر المدح من النساء للرجال بل تعداه إلى مدح النساء بعضهن بعضا. في مديح يدور حول ذات المعاني والصفات وكأنه لا فرق بين شخصية الممدوح رجلاً كان أو امرأة .

فنجد " مهجة القرطبية [1]" تمدح أستاذتها ولادة بنت المستكفي – قبل أن تنقلب عليها – ولم يكن القصد منه الحصول على مغنم ، بل الوفاء والتعبير عن مشاعر الود والإخلاص ، قائلة):الطويل)

لئن قد حمى عن ثغرها كلَّ حائمٍ　　فما زال يحمى عن مطالبه الثَّغْرُ
فذلك تحميه القواضِبُ والقنـا　　وهذا حماه مـن لواحظها السحرُ

مديح الشاعرة الأندلسية قدم لنا صورة حية عن مدى ميل المرأة العربية لصفات الرجل المعنوية وتفضيلها على صفاته المادية ، فجاء مديحها

---

[1] مهجة بنت التياني القرطبية: شاعرة اندلسية، من اهل قرطبة. كان أبوها يبيع التين. وكانت من أجمل نساء زمانها وأخفهن روحا. تهافتت على الملذات تهافتا سافرا، دفعها إلى ذلك جمالها، وتأدبها على صاحبتها ولادة بنت المستكفي التي تولت تعليمها، ورعت استعدادها المجوني والأدبي إلى أن صارت شاعرة مهيبة الجانب في عالم الشعر. ورغم تلك الصداقة المتينة التي ربطت بين قلبيهما، وما استنفذته ولادة من مجهودات شاقة في سبيلها فإن مهجة ما لبث أن استيقظ في رحاب نفسها حب الهجاء والتلويث فقذفت صاحبتها الحميمة (يأتي ذكرها لاحقا). نزهة الجلساء في أشعار النساء- تحقيق عبد اللطيف عاشور- مكتبة القرآن –جدة ١٩٨٦م نفح الطيب ٢ / ٤٩٤ الأعلام : ٧ /١١

لهم حقيقياً واقعياً نابعاً من تجاربها معهم وطبيعة علاقتها بهم . ولكثرة تقرب الشاعرة الأندلسية من الساسة والحكام وذوي الجاه والنفوذ ، ولميلهم الصريح إلى هذا اللون من الشعر ، أكثرت النظم في المديح السياسي رغبة منها في تحقيق ما كانت تطمح إليه من الرغبات الذاتية ،ومن ثم اندفعت بما تولد لديها من المشاعر الصادقة تجاه الأحبة وكل من ضمنها برعايته إلى طرق باب المديح الاجتماعي (مهجة القرطبية / ولادة بنت المستكفى) .

ولعل البيئة الأندلسية الجميلة وانتشار مجالس الأنس واللهو ، ورقة الشاعرات وصدق مشاعرهن في مجمل الأحوال، فلم نرْ من مدحت قسراً ، أو كرهاً ، بل جاء في مجمله طواعية ورغبة كان سبباً في انتشار المديح في بلاد الأندلس . كما أن ما تتمتع به المرأة من ذكاء فطري ، جعل منهن طبيبات نفسيات ماهرات ، تمكن من العزف على أوتار القلوب ومداعبة مشاعر من توجهن نحوهن من الرجال على اختلاف مراتبهم ؛ فحظين بما أردن ، وبلغن مأربهن .

أما فيما يخص أسلوبها في المديح فقد كان بين الجزالة والسهولة والقوة والليونة ليتلاءم وطبيعة مديحها المتأرجح بين استيعابه لفضائل الممدوح مجتمعة أو لبعض فضائله .

بيد أن شاعرات الأندلس ليس لهن جديد في هذا الفن ، " حيث قلدن المشارقة في بعض الأحيان في بدء قصائدهن الممزوجة بـــالغَزل غير أنهن فـــي أغلب الأحيان يقصدن إلـــى المـــديح مبـــاشرة دون تمهيد[1]".

[1] عبد العزيز عتيق - الادب العربي في الأندلس دار النهضة للطباعة و النشرط١٩٩٥م ص ٢٠٠. وينظر كذلك : محمد رضوان الداية - في الأدب الأندلسي - دار الفكر -دمشق ٢٠٠٠م ص ٦١

ندرك من الشواهد السابقة – وغيرها في كتب التراث – أن الشاعرة الأندلسية تطرقت إلى المدح السياسي والاجتماعي . أما المدح الديني " فكاد يكون مفقودا إذ لم نجد له أثرا بين آثارهن الشعرية " "[1] ، ومرد ذلك في رأي إلى ما سبق من أسباب أدت إلى ازدهار المدح السياسي والاجتماعي وندرة المدح الديني حيث انصرفت الآذان لاهية عنه إلى مباهج الدنيا وزخرفها وزينتها .

الفخر :

ينشأ الفخر إما لتغطية نقص في نفس الإنسان أو للتعويض عنه عند مقارنة منجزاته مع منجزات الآخرين . و الإنسان لا يحب السر والكتمان إطلاقا ؛ لأنه و بحكم طبيعته يريد أن يظهر ما لديه من القدرات الفعلية أو القولية والإنجازات للآخرين ، فهو بحاجة جنونية إلى كلام الناس ورأي الناس و لذلك تراه يميل إلى الفخر حقاً أو زيفاً . فنحن نلبس و نزدان لأجل عرض أنفسنا – رجالاً ونساء – على الآخرين . نفعل ذلك لأن الفخر نوع من العرض و الطلب في سوق المجتمع البشري ، ولان قيمة المنجزات تكمن فقط في عرضها للآخرين.

"الفخر يعني المباهاة بالنسب ، والسيادة ، والمجد ، والكرم ، و الأخلاق الكريمة ، وقيم البطولة من شهامة ، ومروءة ، وقوة ، وشجاعة ، وإقدام ، وخبرة حربية ، وتضحية ، وصبر، ورئاسة ، وكثرة عددية ، ومجد حربي ."[2]

الفخر إن نظرنا له بايجابية هو تقييم للذات وللآخرين ومساندة لها ولهم .

---

[1] المرجع نفسه ص٦٢

[2] ابن منظور – لسان العرب – دار صادر- ٢٠٠٣م ج ١١

ومع تطرق الشاعرة الأندلسية إلى الكثير من الفنون الشعرية كان الفخر من ضمنها ، حيث وجدت فيه متنفسا" للتعبير عن كبريائها والمباهاة بنفسها ، فقد تمتعت بنفوذ سياسي واجتماعي بحكم قربها من الملوك والوزراء ؛ منهن من كانت زوجة لأحد ملوك الأندلس كـــ " اعتماد الرميكية[1]" ، فضلا" عن أن هناك شاعراتٍ كن من بنات الملوك ومنهن "بثينة بنت المعتمد"[2]، و "ولادة بنت المستكفي" ، و " ام الكرم" . . وكل ذلك جعلهن يشعرن بالكبرياء والزهو والاعتزاز بالنسب والفخر بالأجداد .

ومنهن من تجاوزت ذلك وجعلت فخرها بنفسها " كتميمة بنت يوسف[3]" – الأميرة التي جمعت بين رجاحة العقل وحسن التدبير، كانت تميمة شقيقة أمير المسلمين «علي» تطلب العلم، وتحفظ الشعر، وتجيده، وتتخذ الموكلين والكتاب، وتظهر إليهم في غير ما حياء أو خجل، وتحاسبهم دون أن تجد غرابة في ذلك - وذلك حين رآها يوما عامل لديها ؛ بُهت لفرط جمالها وللهوة السحيقة بينه وبينها ، وكانت قد أمرت بمحاسبته وبرزت له ، فلما نظرت إليه عرفت ما دهاه ، وفطنت لما عراه ، فأومأت إليه وأنشدته : (المتقارب)

هيَ الشمسُ مسكنُها في السماءِ فعزِّ الفؤادَ عـــزاءً جميلا

فلن تستطيعَ إليهـــــا الصعودا و لن تستطيعَ إليك النزولا

---

[1] من المشهورات بالأندلس ، جارية المعتضد بن عباد وام أولاده ،كانت جارية حسناء ، سميت بالرميكية نسبة إلى مولاها رميك من وجهاء أشبيلية، كان لها بالشعر نسب وبالأدب معرفة ، إلا أنها لم يكن لها معرفة بالغناء . نفح الطيب -٥/ ٣٤٢ -٣٤٣.

[2] شاعرة نشأت في بيئة شعرية ، فأمها الرميكية الشاعرة الظريفة ،ووالدها المعتمد الشاعر المطبوع فورثت الشعر عن ذويها وامتازت بالجمال وسرعة الخاطر ،ومرت بحياة عصيبة بعد ان كانت تعيش حياة مترفة ناعمة في ظل والديها،حيث سبيت مع جملة ما سبي لما احيط بأبيها ووقع النهب في قصره وأصبحت من الجواري تباع في الاسواق. نفح الطيب:٦/ ٢٠-٢١ ،الدر المنثور:٨٩-٩٠

[3] أخت الأمير علي بن يوسف امير المسلمين (ت ٥٠٧ هـ). وتكنى بام طلحة وامتازت بالحسن ورجاحة العقل مشهورة بالأدب والكرم وأنها كانت تطلب العلم وتحفظ الشعر ، وسكنت مدينة فاس . التكملة لكتاب الصلة:٤/٢٥٥،الأندلس في نهاية المرابطين:٣١٦.

تعرف المرأة قدرها ومنزلتها ، فهي في عقيدتها لا تنتمي للأرض ؛ بل وضعت مكانها مكان الشمس ، وأنه من الصعوبة بمكان الوصول إليها ، أو النزول من مكانها السامي ، بيتان يورثان اليأس في قلب من قيلت له ويقتلان الأمل بنفسه فلا تراوده الأحلام أو الهواجس . فالشاعرة في هذين البيتين كانت موفقة في اختيار الاسلوب البسيط الذي لا يحتاج الى الرجوع الى المعاجم ليُفهم معناه.

أما ولادة بنت المستكفي ؛ عنوان شواعر الأندلس، فقد بلغ الافتخار بها إلى حد أنها كتبت بالذهب – في جرأة غير مسبوقة قد يفهم منها على سبيل الخطأ أنها امرأة لعوب تعيث فساداً وإقذاعاً – على عاتقي ثوبها قائلة[1]:

أنــا واللَهِ أصلحُ للمعـــالـــــي	وأمشي مِشْيَتي وأتيهُ تِيها
وَأُمْكِنُ عاشقي من صَحْنِ خدّي	وأُعطي قُبلَتي مَنْ يشتهيها

بيتان من الشعر كانا بمثابة شهادة تاريخية تلقي الضوء على مسيرة تلك الشاعرة الأميرة، سليلة الأسرة الحاكمة في العصر الأندلسي، تم تناقلهما وتوثيقهما باسمها عبر التاريخ ، بعد أن قامت هي بتوثيقها بالذهب على ثوبها للتعريف بنفسها على طريقتها الخاصة .

كانت ولادة أكثر جرأة من شاعرات كثيرات في عصرها وما تلاه من عصور ، باتخاذ توقيع لها من حرفها ونظمها وسمت فيه ثيابها وأصبحت الأشهر لأنها عبرت عن مكنون نفسها دون خوفٍ ولا وجل من تفسير خاطيء لما تقوم به أو تأتيه من أفعال .

---

[1] نفح الطيب ٣٣٦/٥، الدر المنثور: ٥٤٦

وتعلو نبرة الفخر حين تتملكها الغيرة فلا تجد ملاذاً يحفظ كرامتها وعزتها غيرُ الفخر فانبرت تهتف بل تصرخ ؛ إنها ولادة الأميرة . وتعظم الإهانة حين تكونُ الغريمة أقل شأناً ومنزلة منها، يا لها من ضربة قاصمة .! بيد أن ولادة بما تملك من قوة وثقة ، لاتنهار أمام تلك الواقعة بل تتعالى قائلة: (الكامل)

لَو كنتَ تُنصفُ في الهوى ما بيننا　　لم تهوَ جاريتي ولـــــم تتخيّرِ

وَتركتَ غُصْناً مُثْمِــــــراً بجماله　　وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ولقد علمتَ بأنّني بدرُ السمـــــــا　　لَكن دُهيتُ لشقوتي بالمشترى

وصفت نفسها بالبدر لشدة صفائه وقوة ضوئه ، ووصفت جاريتها بكوكب المشتري الخافت في إنارته .استخدمت (ولعت بالمشترى) كناية عن الجارية التي ولع بها ابن زيدون .

بيد أن فخر ولادة لم يتوقف عند حدود الصفات والنسب تعداه إلى افتخارها بعفتها وتمسكها بمبادئ دينها فقالت[1] : (الكامل)

إنـي وإن نظرَ الأنامُ لبهجتـــي　　كظباءَ مكّةَ صيدُهُنّ حــرامُ

يُحسَبْنَ من لينِ الكلامِ فواحشا　　ويصدُّهُنّ عن الخَنَا الإسلامُ

الأبيات السالفة الذكر كفيلة بدحض الفكــــرة القائلة بتهتك ولادة ، وخلاعتها ، ومجونها ، بيد أنها لا تمحو الفكرة تماماً ، فقد يسرت السبيل إلى القيل والقال ، بسلوكهـــا وحريتها وخروجها عـــن المألوف .

أميرة أخرى من بيت عز وجاه ، إنها بثينة بنت المعتمد ؛ وهي الأميرة التي شهدت مباهج الحياة لما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره

[1] الذخيرة : ق١م١/٣٧٦ – نفح الطيب ٥/٣٣٦

كانت من جملة من سُبِي – على ما أشرت من قبل – بيد أنها لم يسنها السبي عن الفخر بعلو نسبها وأمجاد أبيها فتقول[1]: (الكامل)

لا تُنْكِروا أنّي سُبِيتُ وأنَّنِي بِنْتٌ لِمَلْكٍ من بَني عبّـادِ

ملكٍ عظيمٌ قد تَولّى عَصْرُه وكذا الزمانُ يؤولُ للإفْسادِ

وتتعدد مواطن الفخر،وتتجاوز الصفات الخُلقية والخِلقية، والنسب وعلو المنزلة ، إلى مـا تتمتع به المرأة الأندلسية من مواهب خاصة، و تشير المصادر إلى اهتمام الأمويين في الأندلس بجمال الخط والإقبال على تحسينه ، " وكانت المكتبات الإسلامية تضم أقساما خاصة بنسخ الكتب يعمل فيها أجود الخطاطين، نساء ورجالا، إذ لم يكن الاشتغال بالخط مقصورا على الرجال وحدهم ، فكانت النساء أيضا تقمن بهذه المهمة ، وبينهن كثيرات اشتهرن بحسن الخط و عملن في النسخ وتذهيب المصاحف وأغلفة الكتب بالخطوط والنقوش الذهبية الجميلة"[2].

نتج عن ذلك أن شاع بين الخطاطين التباهي بحسن الكتابة ، وظهر التنافس بينهم وادعاء التميز في هذا المجال.

حينما نطلع على شعر حفصة الركونية نجدها تفخر بخطها ، عندما سألتها امرأة من أعيان أهل غرناطة" أن تكتب لها شيئا بخطها"[3] فقالت مفتخرة :(البسيط)

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم غُضّي جُفونَك عما خَطّه قلمي

تصفّحيه بـلَحْظِ الوُدِّ مُنْعِمَةً لا تَحْفُلِي برَدِيءِ الخطِّ والكَلِمِ

---

[1] نفح الطيب ٤/ ٣٨٤

[2] أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ـ تحقيق شريف أبو العلا ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ ٢٠٠٨م ج٢/٥٣١ ـ وكذلك ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق عبد الله محمد الدرويش ـ دار يعرب ٢٠٠٤م ص ٤٢٠

[3] نفح الطيب ١٧٧/٤

كذلك صفية بنت عبد الله الربي[1] التي افتخرت بحسن خطها وجماله، بعد ما عابت امرأة خطها قائلة:

وعَائِبَةً خَطِّي فَقُلْتُ لَها اقْصِرِي | فَسَوفَ أُرِيكِ الدُّرَّ فِيْ نَظمِ أَسْطُرِي
نادَيْتُ كَفِّيَ كَيْ تَجُودَ بِخَطِّهَا | وَقَرَّبْتُ أَقْلَامِي وَوَرَقي وَمِحْبَرِي
فَخَطَّتْ بِأَبْيَاتٍ ثَلَاثٍ نَظَمْتُها | لِيَبْدُو بِهَا خَطِّي وَقُلْتُ لَهَا انْظُرِي

وحينما يجتمع جمال الخط إلى النبوغ العلمي ، يحق للمرأة الفخر والتباهي ، وها هي الطبيبة الشهيرة " أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الله الطنجالي[2]" تعرض لها من يعيب خطها ، فدافعت عن نفسها بأبيات تفضل فيها العلم على الخط قائلة :(البسيط)

الخطُّ ليس له في العلم فـائدةٌ | وإنما هـو تزيينٌ قلـمٍ لقرطاس
والدرسٌ سُؤْلِيَ لا أبغي به بدلًا | بقدر علمِ الفتى يسمو على الناس

من هذين البيتين نجد أن المرأة قد نالت نصيباً وافراً من الثقافة الشفهية التي تعتز بها ، بالإضافة إلى إفادتها بعض الشيء من منظومة الثقافة الكتابية التي تعبر عنها بالخط والقلم والقرطاس ، لكن أثر الثقافة الشفاهية تبدو أكثر أثراً . كما نلاحظ أن الثقافة النسائية تجد لها موقعاً في الأسلوبية التعبيرية للشاعرة ، فقد استخدمت لفظ " تزيين " المتصل بالحقل الدلالي لجمال المرأة فقدمت للخطاب الشعري معجماً نابعاً من عالمها الأثير الذي تعايشه بشكل يومي .

---

[1] صفية بنت عبدالله الربي توفيت ٤١٧ هـ لا تذكر عنها المصادر أكثر من هذا ولعل الأبيات السالفة الذكر هي كل ما عثر عليه من أخبارها حقاً فهي أبيات قليلة قلة الأعوام القصيرة التي عاشتها.- الصلة: ٢/٦٥٤ ، بغية الملتمس: ٥٢٧

[2] من أهل القرن الثامن الهجري/١٤م ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، ١/٢٦٥ ، أعلام النساء، ١/٢٥٩-٢٦٠ .

ومن صفات النساء الافتخار بجمالهن ، وذلك هو ما صنعته نزهون القلاعية في قولها[1]: (المنسرح)

البَدْرُ يَطْلَعُ مِنْ أَزِرَّتِهِ وَالغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلائِلِهِ

بالإضافة إلى أولئك الشاعرات اللائي نبغن بالعربية في المجتمع الأندلسي المتسامح ، فإننا نجد من بينهن بعض الشاعرات مثل " قسمونة بنت إسماعيل اليهودي"[2] ، أنشد أبوها ذات يوم ، هذا البيت: (الكامل مع زحاف الإضمار)

لي صاحبٌ ذو بهْجَةٍ قَدْ قابَلَتْ نُعْمَى بِظُلْمٍ واستحلّت جُرْمَهَا

ثم قال لها : أجيزي، ففكّرت الشاعرة غير كثير، وقالت:(الكامل)

كالشّمْسِ مِنْهَا الْبَدْرُ يَقبِسُ نُورَهُ أَبَدًا وَيَكْسِفُ بَعْدَ ذَلِكَ جُرْمَهَا

يعكس البيت ثقافة التعدد في الخطاب الأدبي بالأندلس ، كما يعرض لنا الخبر مع البيت كيف كان للأب المثقف دوره في إعداد بناته أدبياً وفكرياً بحيث تكون الإبنة قادرة على التذوق والإبداع .

جاء فخرهن صادقا ، مصبوغا بصبغة واقعية ، متسما بسمة الاعتزاز بالنسب و الأجداد والذات و الأمجاد ، وكأن لسان حال شاعرات الأندلس يخاطب غيرها من النساء ويقول [3]:

لستُ امرأة كباقي النساء

لستَ شهرزاد الخائفة ولا جُولييت الجَميلة

---

[1] نفح الطيب: ٣٣/٦

[2] شاعرة اندلسية من شاعرات غرناطة وأن اباها شاعرا" واعتنى بتأديبها فأخذت عنه نظم الشعر وذكر ان أباها ربما صنع الموشحة فاتمتها هي بقسم آخر، إلا انه لم يصل إلينا ما يثبت ذلك . الذخيرة: ق١م٢/٧٦٦ ، نفح الطيب: ٧٣/٥ ، اعلام النساء: ٢٠٧/٤.

[3] نزار قباني _ ديوان أحلى قصائدي – ١٩٩٢م

ولا بُثَينَة العَاشقة

ولا لَيلى الهادئة

ولا مُراهِقة تُحاول إثباتَ نفسِها

ولا صَبيةً تُمثل دَور الكبار

أنَا لستُ كباقي النســاء..

أنا بِداخلي رُوح مختَلفة

وقَلبــِي لا يشبه أيَ قلــبْ

عفواً نساء العالم

لستُــن مثلي!!!

الوصف :

وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة ، و جمالاً وافراً.. جبالها الخضراء وسهولها الجميلة، تغريد طيورها على أفنان أشجارها، مياهها ، جداولها ، و" تنعم البيئة الأندلسية بجمال ثرٍ وروعة آسرة ، وتصطبغ بظلال وارفة وألوان ساحرة ، تتنفس بجو عبق عطر يضاعفَ من روعته وبهائه ما يتخلل جنباتها من مواطن السحر ومظاهر الفتنة التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس "[1]

مال الشعراء إلى وصف كثير من مظاهر حياتهم اليومية ، ذات الارتباط بطبيعة الأندلس ؛ حيث كانت الطبيعة هي الإطار الذي يقضي

[1] جودت الركابي - الطبيعة في الشعر الأندلسي - مطبعة الشرقي - دمشق- ط٢ ١٩٧٠م ص١٢٦ . وينظر كذلك : طاهر عيد مسلم - عبقرية الصورة والمكان – دار الشروق للنشر والتوزيع – الأردن ٢٠٠٢م

الشاعر فيه ساعات لهوه ومتعته وسروره . ويبدو أنّ عادة الخروج – لا سيما في الفصول الملائمة– إلى المتنزهات والحقول والبساتين، كانت شائعة لدى الأندلسيين ،" كذلك الاستمتاع بمهرجانات واحتفالات كانوا يعقدونها ، وارتجلوا فيها الشعر وعقدوا الموازنات والمقارنات ، وفي الكتب والدواويـــن أخبار لا تحصى عن هذا الموضوع."[1]

لقد فُتن شعراء الأندلس ؛ رجال ونساء ، بالطبيعة فتنة لا يعادلها إلاّ اعتزازهم بشعرهم الذي هو ذوب نفوسهم ونتاج قرائحهم ، من " ذلك إنّ القارئ للشعر الأندلسي لا يدري أكان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة، أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم لفرط ما تغلغلت في نفوسهم، ولكثرة ما وصفوا من مناظرها وما تراءى من نفوسهم على وصفهم. وهذا كله بجوار القصائد التي استقلت بوصفها. فالطبيعة والشعر صنوان لا يفترقان".[2]

والوصف ملازم " للآداب وطبيعة النفس البشرية منذ الحياة البدائية حتى حياة التحضر والمدينة "[3]. وبما أن مناظر الطبيعة ورياضها تسحر بجمالها قلب الانسان، وتسحر بمفاتنها مشاعر المتأمل المرهف الحس ، فلا غرابة أن يتأثر الشاعر بهذه المناظر ، وتلك الرياض، الأمر الذي جعله يعمد إلى بيئته ينتزع منها صورا تعبر عن إحساسه بالطبيعة ومـــــا فيها من مباهج ومحاسن . "[4].

وقد كان الوصف أكثر أغراض الشعر ، " واظهر الأندلسيون فيه عبقرية نادرة – كما وصف في أكثر الدراسات – ولا سيما عندما تعرضوا

---

[1] بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس – دار عواد – بيروت . ص ٣٥ _ ٣٦
[2] مصطفى ناصف - قراءة ثانية لشعرنا القديم – دار الأندلس للطباعة والنشر ط٢ ص ٤٨
[3] دراسات في الشعر العربي ص ٣١٧
[4] جودت *الركابي* - في الأدب الأندلسي- دار المعارف- ص١٢٠

إلى وصف الطبيعة وجمال العمران ومجالس الأنس والظرف . وتعكس لنا الآثار الشعرية أن اهتمام شعراء الأندلس بالوصف كان كبيرا "[1].

هذا ، وقد ظهر أثر الطبيعة في جميع مواضيع شعر المرأة الأندلسية فلا نكاد نقرأ قصيدة أو مقطوعة شعرية ، سواء أكانت في الوصف أم الرثاء أم المديح أم ... إلا ونلمح آثار الطبيعة في مخيلة الشاعرة ، ونلمس تعلقها بها في ثنايا أساليبها المجازية والتشبيهات والاستعارات،" وفي أحيان كثيرة امتزج بالأحاسيس والمشاعر الظرفية ؛ حيث كان شعرها يتكئ على الطبيعة دائما . كبقية شعراء الأندلس المعاصرين لها ؛ فالرياض مهبط لقائها مع حبيبها ، والنهر يصفق لحبها ، والقمري يغرد إذا أرسلت سلامها لحبيبها . وإذا رجعنا إلى أغراضها الشعرية نجد ذلك واضحا[2]. " فــ" حمدونة بنت زياد "[3] تصف وادي آش عندما خرجت إلى النهر مع الجواري ، وسبحت معهن وتأثرت بجمال الطبيعة . إن التفاعل الحاصل بين الشاعرة والمشهد الطبيعي يزيد من حيوية الوصف ؛ لأنه يكون أكثر صدقاً في الإثارة ، فما راءٍ كمن سمعا .

انفعلت الشاعرة مع الجمال الرباني الذي أحاط بها ، وكانت من بين الظباء مهاة سحرت لب الشاعرة فراحت تقول[4]: (الوافر)

أَبَاحَ الدمعُ أسراري بوادي		لـــــــهُ للحسنِ آثارٌ بَوادي
فَمن نهرٍ يطوفُ بكـــلِ روضٍ		وَمِــنْ روضٍ يرفُّ بكلِّ وادي

---

[1] صلاح خالص - أشبيلية من القرن الخامس الهجري - دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - ص ١٠٥

[2] دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة: ٨٧

[3] شاعرة رقيقة من اهل اللطف والجمال امتازت بالصيانة والنزاهة والعفة ولقبت بخنساء المغرب وبصنوبرية المغرب وشاعرة الأندلس ولها اخت تدعى زينب بنت زياد وهي شاعرة ايضا الا اننا لم نعثر على شيء من آثارها الشعرية . المغرب في حلى المغرب: ١٤٥/٢ ، الاحاطة: ٤٩٧ ، التكملة لكتاب الصلة: ٢٦١/٤ ، نفح الطيب : ٢٣/٦

[4] معجم الأدباء ٤٤٧/١

ومِن بين الظباءِ مَهـاةُ أُنسٍ سَبَـتْ لبيٍّ وقد مَلَكَتْ فؤادي
لَها لحظٌ تُرَقِّـــدهُ لأمرٍ وذاك الأمرُ يمنعني رُقادي
إذا سَدَلَتْ ذوائبهـا عليها رأيت البــدر في أفقِ السوادِ
كأن الصبح مــات له شقيقٌ فمن حزنٍ تسـربــل بالحدادِ

أبيات تملأ الخاطر ، وتتملك النفس، وتتساب في رحاب الخلجات ، ولا سيما البيتان الأخيران .

وأُثر عن " حمدونة " ولعها بالطبيعة واستغراقها في محاسنها وجمالها الخلاب؛ مما حدا بها إلى المزج الدائم بين الطبيعة والوصف في اغلب شعرها .ولها وصف لوادٍ آخر[1] تقول فيه): الوافر)

وقانا لفحةَ الرّمْضَاءِ وادٍ سقاهُ مُضَاعِفُ الغيثِ العميمِ
نزلنا دوحه فحنا علينا حُنوَّ المُرضعاتِ على الفطيمِ
وأرْشَفَنَا على ظمأٍ زُلالاً ألذَّ من المُدامةِ للنَّديمِ
يَصُدّ الشمسَ أنّى واجَهَتْنا فيحجبها ويأذَن للنسيم
تَرُوع حصاه حاليةَ العذارى فتَلْمس جانبَ العقد النّظيم

والملاحظ أن الشاعرة استخدمت البحر نفسه في مقطوعتيها ؛ مع اهتمام بإيقاع مرتفع يصل إلى حد الجناس التام بالإضافة إلى تكرار فونيمي لصوت السين ؛ سبت ، سذلت ، تسربل ، تلمس .

وتقدم لنا " أم العلاء بنت يوسف "[2]وصفاً ؛ كأنما أرادت أن تجذب انتباهنا إلى قدراتها في التلاعب بالألفاظ ، تطوعها في يسر للمعنى

[1] نفح الطيب: ٢٤/٦
[2] أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية. شاعرة، عاشت في القرن الخامس الهجري، في وادي الحجارة وإليه نسبتها، وهي من أصل بربري. و من موطن الشاعرة حفصة بنت حمدون. المغرب في حلى المغرب - ١ / ١١٤

الذي تنشده ، وتجعل منها ألوانا ذات بهجة في يدها ، تزين بها الصورة التي تريدها ، حيث تقول : (مجزوء الكامل):

لله بُسْتاني إذا يَهْفُو بِهِ القَصَبُ المُنَدَّى
فكَأنَّمَا كَفُّ الرِّيا حِ قد أَسْنَدَتْ بَنْدًا فَبَنْدَا

إن الارتماء بين أحضان الطبيعة التي أودع فيها الخالق الجمال ، وأودع السحر والبيان ، كان ديدن شعراء الأندلس وشاعراتها الذين انبروا إلى الطبيعة بحلوها ومرها ، يحسبون ويهيمون ثم يعبرون عن حسهم وهيامهم ، بأحلام الخيال واليقظة ، فكانت الطبيعة للجميع ملاذا ومُؤانسة ، ومحققة ما لم يُحقق على أرض الواقع .

أجل ، وصف شاعرات الأندلس نابع من علاقة حميمة بينهن ، والمكان، خلعن عليه من الصفات الإنسانية ؛ لعقد لون من الألفة ، أو الصداقة رغبة في البوح ، ولإفشاء الأسرار والهموم ، أو ليتشاركان الأفراح والأتراح ، فنرى الرياض تارة متكلمة تنطق بالحكم والدرر، وتارة ضاحكة طربة ، وتارة باكية راثية . وقد ينتشي الروض لانتشاء الشاعرة ، كالروض المبتسم ، والأرض التي تصفق ، وقد يرحب ويستقبل بالبشر والسرور .

الرثاء :

كما غــنت وتغنت شاعرات الأندلس للحياة ، وتفاعلن معها ، فقد خبرن أحزانها وملكت عليهن مشاعرهن، وجاءت أشعارهن صورة صادقة معبرة . وقد برَّزت الشاعرة الأندلسية في هذا الفن ، لان المرأة أدق حسا وأرق شعورا ، واشد من الرجل حزنا، وأرق عاطفة ، وأكثر جزعا ولوعة ،

وطبيعتها أقرب إلى الرثاء والبكاء واللوعة والأسى . وأن المرأة بطبيعتها تجيد الرثاء وتستثار مشاعرها المرهفة أمام صدمة الموت"[1]

والرثاء من فنون الشعر العربي البارزة ؛ بل إنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير، هو تعبير عن شعور عميق بالحزن و الألم . وأومأ بعض النقاد القدامى إلى أن ثمة علاقة بين الرثاء والمديح، فجعلوا الرثاء فناً تابعاً للمديح، فقال ابن سلام– عن يونس بن حبيب – ما نصه " إن التأبين مدح الميت والثناء عليه... والمدح للحي "[2]. ، وتابعه قدامة بن جعفر في توثيق الصلة بين الرثاء و المديح فقال: " ليس بين المرثية والمِدحةِ فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لان تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح في حياته "[3] ، ونهج ابن رشيق القيرواني المنهج نفسه في تلك الأحكام، فقال: " وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل : (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت"[4].

وهذه النظرة النقدية تتخذ من النسق البناء منطلقاً لتأسيس القصيدة ، على أن الحال النفسية التي يكون عليه الراثي ساعة الإبداع الشعري لا تستوي مع الحال النفسية التي يكون عليها المادح ، فالراثي وهو يمدح الفقيد إنما يرثيه بعاطفة حزينة وموجعة ، والمادح إنما يمدح بعاطفة الإعجاب

---

[1] رحمي عمران - صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين مجلة القسم العربي بكستان العدد ١٨ / ٢٠١١م

[2] محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - شرح محمود محمد شاكر– دار المدني – جدة ص٢٠٩

[3] قدامة بن جعفر - نقد الشعر - تحقيق وتعليق - محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٠م ص ١١٨

[4] ابن رشيق– العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل ط٥ ١٩٨١م ج ٢ص١٤٧

بالقيم الأصيلة التي يتوسمها بالممدوح ، ونفسه تشع بهجة وسرورا. **وينقسم هذا الغرض إلى ثلاثة ألوان هي :" الندب، والتأبين، والعزاء.** هذه الألوان الثلاثة من فن الرثاء لا تفصلها حدود فاصلة، ولا يقوم منها لون دون الاستناد إلى الآخر والاتسام ببعض خصائصه. ولكن إذا غلب منها لون أعطى العمل الفني طابعه العام، ووسمه بميسمه الخاص . على أن كثيرًا ما تتداخل تلك الألوان ضمن عمل أدبي واحد، لاسيما في رثاء قواعد الملك والدول الزاهرة والعهود المجيدة من تواريخ الأمة"[1].

ويعد الرثاء من اصدق الأغراض الشعرية لأنه مرتبط بتجربة حقيقية، والعاطفة تكون فيه صادقة والنية حسنة. فهاهي حسانة التميمية ترثي زوجها قائلة[2]:(البسيط)

إني وإن عَرَضَتْ أشياءُ تُضْحِكني　　　لموجَعُ القلبِ مطويٌّ على الحَزَنِ

إذا دجـــا الليل أحيا لي تَذَكُّـــــرَه　　　وزادني الصبحُ أشجانا على شجني

ويلاحظ ارتباط الحزن عند المرأة باستحضار طرفي التقابل ليلتقيا وكأن تجربة الحزن قد أصبحت دائرة تلتف حول الذات ، مع ربط الحزن بالبناء الزمني الدائري ؛ إذا دجا الليل / زادني الصبح . هذا ، ويتطلب الرثاء للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الحزينة ألفاظا مألوفة كي يصل بسهولة إلى متلقيه ، " إِذَا خَرَجَ الْكَلامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يُجَاوِزِ الآذَانَ[3] ." .

---

[1] شوقي ضيف – الرثاء – دار المعارف – ١٩٧٩ ص١٢، ١٣

[2] عمر فروخ – تاريخ الأدب العربي = دار العلم للملايين ٩٧/٤ وكذلك : نفح الطيب: ٢٩/٥

[3] أحمد بن عجيبة - إيقاظ الهمم شرح متن الحكم العطائية – مراجعة: محمد أحمد حسب الله – دار المعارف ص ١٨٩وكذلك : أبي اسحق المصري القيرواني - زهر الآداب – تحقيق علي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الجلبي ط١/١٩٣٥.

الشاعرة الأندلسية ترثي عل نحو مفعم بالحسرة والحزن ، مجسمة مشاعرها وعواطفها ، وهكذا كانت الشاعرة حفصة الركونية؛ لما طمع أمير غرناطة الموحدي أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن في حبها، وقتل حبيبها أبا جعفر ، حزنت عليه حفصة كثيرا وجاهرت برثائه والبكاء عليه ولبست الحداد ، مما أغضب السّلطان وحاشيته، فتُوعّدت بالقتل[1]"، فهاجت مشاعرها وانبرت تقول وقد اجتمع عليها مرارة الفقد و القهر :(الخفيف)

هدّدُوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحـــدادِ

رحمَ الله من يجودُ بدمـــــعٍ أو بنوحٍ على قتيل الأعادي

العاطفة في هذه الابيات متشحة بوشاح الألم والحزن على فقدان الحبيب وعبرت عن ذلك بعاطفة جياشة ووفاء صريح . عاطفة صادقة نابعة عن تجربة انسانية وإن صدق هذه التجربة كان باعثا على حرارة العاطفة ، مع ملاحظة الصراع بين حزن الذات النسوية وما يفرضه عليها السياق الاجتماعي من صورة ترضي الطابع الذكوري الذي يرغب في حضورها المادي بصرف النظر عن أحزانها .

حفصة غير مذعنة بالتهديد أو الوعيد ، انساقت وراء أحزانها ترثي محبوبها بقولها: (الطويل)

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَجْماً لَمَا كَانَ ناظري وقد غِبْتَ عَنْهُ مُظْلِماً بَعْدَ نُورِهِ

سَلامٌ عَلَى تِلْكَ المَحَاسِنِ مِنْ شَجٍ تَنَاءَتْ بِنُعْمَاهُ وَطِيبِ سُــرُورِهِ

وترثي " هند " [2] المتوكل حينما سمعت بمقتله قائلة[3]:(المنسرح)

امحمد مجيد السعيد – الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس – المؤسسة العربية العامة للتاليف والنشر ٢٠٠٨م ص ٢٩٦ [1]

[2] هند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطي الكاتب شاعرة رقيقة وادبية ظريفة . السيوطي – المستظرف من أخبار الجواري – تحقيق د. صلاح الدين المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧٦م ص٧٣

[3] المصدر السابق ص ٧٤

قد قلتُ للموتِ حين نازلَـــــهُ   والموت مِقْدَامةُ على البُهُمِ
لمّا تبينتُ ما فعـــــــــلتَ إذن   قَرَعْتُ سِنًا عليه مِن الندمِ
فأذهبْ بمن شئت إذْ ذَهبتَ به   ما بَعْدَ فَتْحٍ للموتِ مِن ألمِ

نعم ، النساء اشد الناس جزعا لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة . بيد أن الرثاء الأندلسي كان في معظمه تقليداً للرثاء في المشرق ، من حيث التفجع على الميت ووصف المصيبة وتعداد المناقب . وقد اقتصر رثاؤهن على الزوج والحبيب والخلفاء " ولم يتطرقن إلى رثاء للمدن والممالك الزائلة "[1]

الهجاء :

عبر الإنسان منذ القدم بوساطة الشعر عن وجدانه وعمًّا يختلج في نفسه من ألم وغبطة ومن فرح وترح ، ومن إحساس بالسعادة وشعور باليأس والإحباط ، فكان الشعر– في حياة الإنسان– تعبيراً عن تنازع البقاء ، وعن صيرورة هذا الإنسان في الوجود . و إذا كانت أحواله تختلف من حيث الغبطة والرضا والتفاؤل والتشاؤم ، فالشعر بدوره يعاني من الوحشة والانقباض ؛ تارة يحب ويلين ، وأخرى ينقم ويحقد ويقسو على تصرفات الناس من حوله. وقد تتحول القسوة من مجرد أحساسات وجدانية داخلية تتفاعل في نفس الشاعر، وتتعقد لتتضاعف وتتطور، ثم تنصهر في أعماق الوجدان الفردي ، فيخرجها الشاعر إلى العالم الخارجي ، بهجاء مشفوع بكثير من الملامح المشوّهة ، التي هي في الواقع تعبير مادي محسوس عن تلك الظلال الشعرية الموحشة الغائرة في أبعاد النفس.

---

[1] مصطفى الشكعة- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه- دار العلم للملايين – ١٩٩٥م

الهجاء تعبير عن وجوه القبح واليأس . إنه تجسيد لملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف . وأبرز العيوب والصفات الممقوتة بين الناس بأسلوب سهل ، وبصورة مجسمة تبدو أكبر من حجمها الطبيعي – يقابله فن الكاريكاتير في العصر الحالي – حتى تثير الاستغراب والتندر. والهجاء في الأندلس كان دون المدح والفخر فلم يكن له سوقٌ رائجة ولا سيما الهجاء السياسي ، لقلة الأحزاب السياسية . وانشغالهم باللهو والمرح والتمتع برهافة العيش ومجالس الأنس .

أما الهجاء الاجتماعي فقد كان في معظمه لا يتعرض للأنساب مخالفا بذلك ما نهج عليه شعراء الهجاء بالمشرق ؛ حيث غلبت عليه خفة الروح والنكتة اللاذعة ، لا يميل إلى العفة بل يغرق في الفحش ، ويستعمل بذيء الألفاظ ، ولم ينأ عن ذكر العورات ، مخالفا في هذا كله ما درج عليه شعراء المشرق.

وقد أسهمت المرأة الأندلسية وأدلت بدلوها ، وعبرت عن انفعالاتها بالهجاء ، ووصل هجاؤها إلى القذف الصريح ، والسباب الواضح ، وتناول الأعراض والعورات ، والمجاهرة بالفحش والإقذاع . " فقد روي شعر مكشوف لبعض الشاعرات الشهيرات مليء بأسباب البذاءة وألفاظ السوقة وأسماء عورات الجنسين على السواء وكان هذا الشعر النسائي ينشد في المجتمعات ويحفظ ويذيع "[1]

إن جرأة شواعر الأندلس لم تقتصر على الغزل ، بل تعدتها إلى النقيض فقد كشفت عن النقاب ، وخالطت الرجال وجالستهم في مجالس الأنس واللهو ، فكيف لا تباريهم في مضمار الهجاء.

[1] جودت الركابي – في الأدب الأندلسي- ص ١٣٠

من ذلك الشاعرة "مهجة بنت التياني القرطبية" ؛ التي أعجبت ولادة بظرفها ، وخفة روحها، ورقة شعرها، وجمال محياها ، فعلقت بها ولزمت تأديبها ، ورغم تلك الصداقة المتينة التي ربطت بين قلبيهما، وما استنفدته ولادة من مجهودات في سبيلها ، فإن مهجة ما لبث أن استيقظ في رحاب نفسها حب الهجاء ، فقالت فيها هجاءً فاحشاً من باب : "وكم علمته نظم القوافي * فلما قال قافية هجاني[1] ". قالت مهجة في هجاء من أنعمت عليها[2]: (المتقارب)

وَلادة قد صِرتِ ولَّادةً من دون بعل ، فضح الكاتم!

حكت لنا مريمَ لكنــــه نخـــلةُ هذي ذكـــر قائـــــم

وفحش القول عند مهجة لم يكن مقصوراً على الغزل أو الهجاء؛ بل كان يجري على لسانها سليقةً وطبيعة .

الرجال أيضا كانوا عرضة لـــهجائها المقذع ، فقد أهدى لها يوما حبيب يهيم بها خوخا ،فأجابته ببيتين من شعرها ، وقد أفحشت[3]. (السريع)

يا مُتْحِفًا بالخوخ أحْبَابَه أهلًا به من مُثْلِجٍ للصدور

ورغم رقة البيت الأول فإن البيت الذي يليه يلطم المشاعر ويخدش الحياء من وقاحة تشبيهه وبذاءة معانيه !

حكى ثدي الغيد تَفْليكَه لكنه أخــــــزَى رؤوس الأيـــــــتور

يذكر صاحب المغرب" لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقديم"[4]

---

[1] البيت لمعن بن أوس شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم وهو من صحابة النبي محمد.

[2] المغرب في حلى المغرب -ص ٦٩- وكذلك نفح الطيب - ٤/ ٢٩٣ ولسنا ندري على وجه التحقيق سبب هذا التنكر الذي بدر من جانب مهجة لأن المصادر التي تمكنا من الاطلاع عليها لا تتعرض لبسط الدافع إلى هذا الهجاء ولو بإشارة خفية .

[3] نفح الطيب ٤/ ٢٩٣

[4] المغرب في حلى المغرب ص٦٩

تلك هي التلميذة فما بالنا بالأستاذة ، " ولادة " التي ذاع صيتها بالهجاء كما الغزل، واستخدامها ألفاظ الشتم والسباب ؛ حيث هجت حبيبها ، و توأم روحها ابن زيدون ، رغم ما تبادلا من قصائد الغزل وتطارحا الغرام ، فلما حانت لحظة الفراق بدا الوجه القبيح وانبرت قائلة[1] :(السريع)

إن ابنَ زيدونَ على فضله　　يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الأيرَ على نخلةٍ　　صار من الطير الأبابيل

جعلت الشاعرة الأندلسية – معظمهن – هذا الفن للتسلية والسخرية ، واستمالة قلوب الرجال ولفت الأنظار؛ حيث تتماجن الشاعرة ، وتعبث وتلهو بمصائر الآخرين وأقدارهم ، هازئة من عاهاتهم ونقائصهم. وقد تهجو الشاعرة لسبب آخر ؛ كان يتجرأ أحدهم ويتقدم لخطبتها فتعدها الطامة الكبرى ، وتكيل له الهجاء ضاربة برجولته عرض الحائط ، هذا ما فعلته " عائشة القرطبية "[2]، هجت احد الشعراء عندما طلب يدها للزواج ولم ترض به زوجاً، فقد رأت في الزواج قيداً لا تستطيع تحمله فأجابته قائلة :

أنـــا لبوةٌ لكنني لا أرتضـــي　　نفسي مُناخاً طول دهري من أحَدْ

ولو أنني أختار ذلك لم أُجبْ　　كلباً وكم غلَّقتُ سمعي عن أَســدْ

الأبيات بما تحمله من تشبيهات ، صادرة ممن وصفتها المصادر بأنها " أكثر أهل زمانها أدباً ، وفصاحة ، وقوة شخصية " فإذا كان هذا حالها فما بالنا ممن هن أقل شأناً . استخدمت (لم أجب .... وكم أغلقت) كناية عن

---

[1] نفح الطيب ٤/ ٢٠٦.

[2] شاعرة وأديبة من اهل قرطبة امتازت بالفصاحة والبلاغة وفاقت شواعر عصرها علما" وفهما" وادبا" وشعرا" وعفة وجزالة واختلفت عنهن في عزوفها عن مخالطة الرجال والامتناع عن الزواج وماتت وهي عذراء(٤٠٠ هـ) وانها كانت حسنة الخط ، تكتب المصاحف ، اشتهرت في نقل المخطوطات.ينظر نزهة الجلساء: ٧١ ، نفح الطيب: ٢٦/٦، الدر المنثور: ٢٩٢ ، اعلام النساء: ٦/٣.

امتناعها عنه وعدم رغبتها فيه .إنها سمة عصرٍ حظيت فيه النساء بالحرية والانفتاح على الآخر تباريه وتساجله ، و إن قلة الاحتشام عند المرأة الأندلسية انعكس على شعرها بما يحمله من ألفاظ نابية ، وكلمات فاضحة وهجاء جَدٌّ مبتذل .

أجل ، تميز هجاء الشواعر بالبساطة والوضوح وعدم التكلف لأنه " وليد الفطنة وسرعة الخاطر واللمحة الدالة ، وهذا يتجافى مع التكلف والإطالة "[1] ومن ذلك نجد نزهون – هجاءة الأندلس حيث إذا ذكر الهجاء ذكرت – ترد على الشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى حينما هجاها [2]: (الطويل)

على وجهِ نزهونَ من الحسنِ مسحةٌ وتحتَ الثيابِ العارُ لو كان باديا

قواصدُ نزهــونَ تـــوَارِكُ غيرِها ومن قصدَ البحرَ استقلَّ السواقيا

فتجيبه – وهي التي وصفها ابن الخطيب بأنها " أديبة شاعرة ، سريعة الجواب ، صاحبة فكاهة ودعابة "[3]– بشعر أكثر بذاءة ، أصابته في مقتل من جهة ، وبرهنت على مقدرتها الشعرية من جهة أخرى حيث قالت : (المجتث)

قــل للوضيع مقـــالا" يُتْلَى إلى حين يُحْشَـــــر

مــن المدوَّر أُنشئــــــ ـــــتَ والخَرا منه أعطــر

حيث البــداوةُ أمســـت في أهلهـــــا تتبختر

---

[1] ايليا الحاوي – فن الهجاء وتطوره عند العرب –دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٩٨م ص ١٠

[2] ورد البيت في النفح جـ ١ ص ٩٠، ولكن في جـ ٢ ص ٤٩٥ أثبت البيت هكذا:

على وجه نزهون من الحسن مسحة وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا

قواصد نزهون توارك غيرها ومن قصد البجر استقل السواقي

[3] الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ / ٣٤٤

خُلِقتَ أعمى ولكـــــن   تهيمُ في كل أعـــــور

جازيتُ شعراً بشعـــــرٍ   فقل لي لعمريَ مَنْ أشعر؟

إن كنتُ في الخَلق أنثى   فإن شعري مذكـــــــرَ

نزهون رغم اعتزازها بأنوثتها وكونها امرأة تؤكد أنها وإن كانت في النساء "أنثى" إلا أن شعرها "رجل " كناية عن تمكنها وقدرتها على نظم الشعر الجيد الذي تقارع به الشعراء.

واحتدم الخلاف بينهما ، وتعالت نبرة الهجاء ، فرد عليها ببيتين أفحش فيهما، ممزقاً عرضها ، يقول [1]:(المتقارب)

ألا قل لنزهون ما لهــــا   تجـــــرّ من التّيه أذيالَها

ولو أبصَرت فَيْشةً شَمرت   – كما عودتنيَ – سربالَها

أجابته، وقد خففت من لهجتها[2]:(المجتث)

إن كان ما قُلتَ حقا   من بعض عهد كريـــمِ

فصار ذكري ذميما   يُعزى إلى كلّ لـــومِ

وصيرتُ أقبحَ شيءٍ   من صورة المخزومي

غير أن الخلاف لا يفسد للود قضية ، فلقد تحولت العداوة بين الشاعرين إلى ودٍ ، وأضحت نزهون تلميذةً للمخزومي . هجاء الشاعرة الأندلسية على بذاءته ، كان من أجل اللهو والمجون ، امتاز بالبساطة والوضوح ، ويعد مختلفاً كماً وكيفاً عن نظيره في المشرق ؛ يبدو أن البيئة

---

[1] المغرب في حلى المغرب ١/ ٢٢٨
[2] المصدر نفسه

المتحضرة التي وجدت فيها الشاعرة الأندلسية كان لها عظيم الأثر في هذا الفن عندهن .

الشكوى :

من كانت بمثل هذا القدر من الجرأة على التغزل والتمدح والهجاء ، هل تبيح لها جرأتها الشكوى ؟ وقد عُرِفت الشكوى بانها " الوتر الحزين في قيثارة الفنان الشاعر ، يمنح منها الكلمات ما تحشرج في فؤاده من غمة وحسرة ، وما تفتن في لعابه من مرارة ولوعة أوجدتها الغربة وقسوتها ، أو الدهر ونوائبه أو الحرب وويلاتها ، أو الفقر وعوزه ، أو غدر الناس وحسدهم ، أو ما قد يصادف المرء من متاعب الحياة الكثيرة ، ثم يضفي عليها لونا" كئيباً ، وظلاً حزيناً ، يوحشه التشاؤم والألم ، ويمسحه الأسى والشجن.[١]

والشكوى عاطفة أساسها الشعور بالحرمان " تنشأ لأسباب نفسية تعود لعدم التوافق "[٢].، ولعلها من أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة الناقضة ، وتعكس أوجاع النفس في أشجانها وقنوطها وآلامها ، نتيجة التناقض أو الإحباط أو الضعف الذي يواجهه الإنسان إزاء قوة لا يقدر عليها ، كالقضاء والقدر والظلم ولا يستطيع لها رداً عملياً ، فيذهب صوب اللغة يعبر من خلالها عن آلامة وأشجانه وتشاؤمه. وقد تطرقت الشاعرة الأندلسية بغريزة الأنثى إلى هذا الفن ، وأجادت فيه ، ونالت استعطاف من سمعها . وأكثر المعاني التي طرقتها في شكواها ، شكوى الولاة والحكام ، و شكوى الزمان ، والشكوى من سوء الحال والكبر والحبيب .

---

[١] محمد مجيد السعيد – الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس – المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر -٢٠٠٨ م ص ٢١٧

[٢] كمال الدسوقي – علم النفس ودراسة التوافق – مطبعة جامعة الزقازيق ١٩٨٥ ص ٣٣

عانت حسانة التميمية من ظلم الوالي المتسلط واستشعرت أنها بأمس الحاجة إلى من يقيها ظلم الظالمين ، ولم تجد غير الأمير "عبد الرحمن الأوسط [1]"، فاحتالت لأمرها وبذكاء فطري قدمت إلى قصره ، فأقامت بفنائه، وتلطفت مع بعض نسائه ، حتى أوصلنها إليه ، وهو في حال طرب وسرور، فانتسبت إليه ، فعرفها وعرف أباها ، فبادرته قائلة [2]:(الطويل)

إلى ذي النّدى والمجدِ سارت ركائِبي عَلى شَحَطٍ تَصلى بنار الهواجرِ
ليجبر صَدعي إنّه خيرُ جابرٍ ويمنعني مِن ذي الظلامةِ جابرِ
فإنّي وأيتامي بقبضة كفِّه كذي ريشٍ أضحى في مَخالِب كاسرِ
جديرٌ لِمثلي أن يُقالَ مروءةً لموت أبي العاصي الّذي كان ناصري
سَقاهُ الحيا لو كان حيّاً لَما اِعتدى عليّ زمانٌ باطشٌ بطشَ قادرِ
أَيَمحو الّذي خطّته يُمناه جابرٌ لَقد سامَ بالأملاك إحدى الكبائرِ

حقاً، برعت المرأة الأندلسية في استخدام خيالها والتعبير عنه من خلال شعرها واستطاعت أن تفجر كوامنها من خلال استدعاء صور الكون والواقع المحيط بها ، وحاكت المتلقي بخيالها المفهوم الذي لا تعقيد فيه ولا غموض.

الصورة في البيت الثالث شكلتها من خيالها المرتبط بالواقع ، حيث صورت نفسها وايتامها بالطيور الصغيرة في قبضة الطير الكاسر. وبهذا " فان الخيال يقوم بدور أساس في تشكيل الصورة وصياغتها ويلتقط عناصرها من الواقع المادي الحسي وهو الذي يعيد التأليف بين هذه العناصر والمكونات

---

[1] بعد الحكم بن هشام تولى ابنه عبد الرحمن الثاني، وهو المعروف في التاريخ باسم عبد الرحمن الأوسط (فهو الأوسط بين عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر)، وقد حكم من سنة (٢٠٦هـ=٨٢١م) وحتى آخر الفترة الأولى)عهد القوة) من عهد الإمارة الأموية، وذلك سنة (٢٣٨هـ=٨٥٢م)، وتُعَدُّ فترة حكمه هذه من أفضل فترات تاريخ الأندلس – نفح الطيب -١/٣٤٧

[2] بشير يموت البيروت.شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام - المكتبة الأهلية، بيروت-ط١ ١٩٣٤م ص ٢١٣

لتصبح صورة للعالم الشعري الخاص بالشاعر ، بكل ما فيه من مكونات شعورية ونفسية وفكرية "[1]

وفي مجال الشكوى فإن بعض الشاعرات انتقدن بالشعر ما لم يعجبهن، وعبرن عن رفضهن لظلم الولاة وما يذيقونه للناس من عسف. فهاهي "الشلبيّة [2]" الأندلسية كتبت إلى السلطان تشكو إليه سلوك حكام المدينة، وتذكره بحق الرعية ، في جرأة وشجاعة :(الكامل)

قد آن أَن تبْكي الْعُيُونُ الأبية　　ولَقَد أرى أَن الْحِجَارَةَ باكيه
يَا قَاصد الْمصر الَّذِي يرجي بِهِ　　إِن قدر الرَّحْمَن رفع كراهيه
نَاد الْأَميرَ إِذا وقفتَ ببَابِهِ　　يَا رَاعياً إِن الرّعيةَ فانيه
أرسلتها هملا ولَا مرْعى لَهَا　　وتركتها نهبَ السبَاعِ الْعَافِيَه
خَافُوا ومَا خَافُوا عُقُوبَةَ ربهم　　وَالله لَا تخفى علَيْهِ خافيه

يُقَال " إِنَّهَا ألقيت يَوْم جُمُعَة على مصلى الْمَنْصُور ، فَلَمَّا قضى الصَّلَاة وتصفحها عزل الْوَالِي وَالْقَاضِي وَصَاحب الْخراج ، بعد بَحثه عَن الْقِصَّة ووقوفه على حَقِيقَتهَا وَأمر للْمَرْأَة بصلَة"[3]

يبقى التاريخ شاهداً نصرة الحق على أيدي نساء. نعم على أيدي نساء! ولم العجب؟ وفي النساء من القدرات والطاقات ما لا نجده عند كثير من الرجال.

هذا ، وفي متون قصائدهن حكم لا تنتهي ، وعِبَرٌ تميط عنها اللثام صورة شعرية هنا أو صياغة بليغة هناك. وربما رافقت العِبرة العَبرة في

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي - الحياة الأدبية في الأندلس- دار الكتاب اللبناني ١٩٨٤م - ط١ ص٤٨

[2] والشلبيِة نسبة الى بلدها شلب وذكر انها اديبة فاضلة شاعرة ناثرة لكن لم نجد شيئا من نثرها. واشتهر صيتها بالاندلس ونواحيها وانها كزميلاتها الشواعر جالست الملوك وناظرت الشعراء. نفخ الطيب ٢٩٤/٤- ابن الآبار- التكملة لكتاب الصلة – تحقيق عبد السلام هراس – دار الفكر للطباعة – لبنان ١٩٩٥م - ٢٦٠/٤

[3] التكملة لكتاب الصلة :٢٦٠/٤

أشعارهن . فقد كان الشعر ملاذ المرأة الشاعرة في نكباتها الخاصة والعامة، يبوح بما في الصدور، وينفس عن القلب المكلوم في حكمة بليغة ، تستقرئ عبر الدهر في تشبيه جميل، يصور حال من ذُلَّ بعد عزٍّ، وتخلى عنه الأصحاب والخلان ، بحال العصافير التي تفرّ مسرعة إذا رأت صقراً ، في كناية عن غدر الزمان الناس .. تقول بثينة بنت الخليفة محمد بن عباد المعتمد على الله [1]: (البسيط)

ما يعلم المرءُ والدنيا تمرُّ بـــهِ ... بأن رفَّ ليالي الدهرِ محـــذورُ
بينا الفتى مُتَردٍّ في مَسَرَّتـــــه ... وافى عليه من الأيام تغييـــــرُ
وفرِّ من حوله تلك الجيوش كما ... تفرّ إن عاينت صقراً عصافيرُ

فإذا ما تركنا الدهر وتقلباته نجد شكوى من نوع آخر فقد شكت الشاعرة الأندلسية " من طول العمر وعلو السن وضعف الهمة ، ومُضيّ الشباب "[2]، فمن ذلك قسمونة التي تمتاز بالجمال الفائق ، لم يتقدم أحد لزواجها ، وقفت أمام مرآتها متحسّرة ، تشكو من مُضي شبابها ، وابتعاد الأحبة عنها وهي الجميلة الوسيمة ، معبرة عن يأسها قائلة [3]: (الطويل)

أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا ... ولَسْتُ أَرَى الجَانِي يَمُدُّ لَهَا يَدَا
فَوَا أَسَفًا يَمْضِي الشَّبَابُ مُضَيِّعًا ... وَيَبْقَى الَّذِي مَا إِنْ أُسَمِّيهِ مُفْرَدَا

الشيخوخة مرحلة من العمر تتسم بالضعف والعجز وعدم القدرة على تحقيق الذات ، فقد شكت " مريم بنت يعقوب " [4]من الشيب والهرم والمرض عندما بلغت السابعة والسبعين من عمرها فقالت :

---

[1] نفح الطيب:٦/٢٠-٢١
[2] المصدر نفسه ٥٣٠/٣
[3] المصدر نفسه ٥٣١/٣
[4] أصلها من مدينة شِلب (Silves) في جنوب البرتغال تتبع مقاطعة الغرب، لكنها أقامت واشتهرت بمدينة اشبيلية بالأندلس.كانت أديبة، شاعرة، جزلة مشهورة، تعلم النساء وتعطيهنّ دروساً في الأدب مع الالتزام بالصون والعفاف والحشمة، فقد كانت تغدو على بنات سادات اشبيلية وتعلمهم القريض، وقد تخرج من مدرستها طائفة من شهيرات نساء الأندلس.وتميزت هذه السيدة بكونها امرأة ذات ثقافة عالية، درست الشعر والأدب والبلاغة، مما مكنها من احتلال منزلة مرموقة عند أجلاء وكبراء البلد. الحميدى، جذوة المقتبس فى تاريخ الأندلس، الجزء الثاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري ودار الكتب اللبناني، ط١٩٦١م – ص٢٥٩.

وما تَرْتَجي مِنْ بِنْتِ سبعين حِجَّةً وسبْعٍ كنسْجِ العَنْكبوتِ المهلْهل

تدِبُّ دبيبَ الطِّفْلِ تَسْعى إلى العصا وتمشي بِها مَشْيَ الأسيرِ المُكَبَّلِ

وهناك شكوى اجتماعية ناجمة عن باعث عاطفي ، وقهر نفسي ، وفشل زواج ، وما أقساه من فشل فيمن ترجو أن يكون رفيق العمر!، ويزداد ألمها حين يكون الزوج هو ابن العم ، تطالعنا " زينب المرية "[1] تعلن شكواها ووجدها بحبيبها ، وأن وجدها بهذا الحبيب يفوق حب الناس وحزنهم لفراق أحبتهم ،قائلة: (البسيط)

يا أيُّها الراكبُ الغادي لِطِيَّتِـــــهِ عَرِّج أُنَبِّئك عن بعض الذي أَجِدُ

ما عالج الناسَ من وجْدٍ تَضَمَّنهم إلا ووجدي بهم فوق الذي أجِدُ

حسبيَ رِضاهُ وأني في مسرتــهِ ووِده آخر الأيامِ أجتهــــــدُ

البيت الأخير فيه الصدق والعفوية ، فغاية المحب أن يفوز برضا المحبوب نفسه ، وأنه يسعى لإسعاده حتى نهاية العمر ، وبذلك نرى الحس النسائي الخاص النابع من تجربة ذات بعد اجتماعي وعمق عاطفي

وقد يصف الشعراء الحب لافي باب الغزل ، ولكن من قبيل الشكوى لعفوية ، من جفاء الحبيب أو كرهه أو بعده ، أو من تدخل القدر ، والمغالاة في التفريق بين المحبين ، أو من الوشاة وما تحمله أنفسهم من أحقاد وضغائن.

ومن ثم تتجه الشواعر بشكواهم إلى محبيهم ، ويضعن بين أيديهم أمر سعادتهم وشقائهم ، يشتكين إليهم حزنهم وما ابتلوا به من العشق والتباعد بين الاحبة ، والأمثلة كثيرة سنقصر الأمر على نماذج منها.

[1] كانت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، وأدب وظرف، وتهذيب ولطف. رقيقة المغاني جزلة الألفاظ حاضرة النادرة لها شعر بديع جالست الأدباء وساجلت الشعراء حتى أنها كان يشار إليها بالبنان في ذلك الأوان . نفح الطيب: ٢٢/٦ وكذلك: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور- زينب فواز ص ٢٢٨

فحفصة بنت حمدون تقضي ليلة الفراق مؤرقة الجفن، شاكية فراق الأحبة ، لها شعر عذب يظهر وحشتها وجزعها ولهفتها وذهولها [1]: (مجزوء الكامل)

يا وحشتي لأحبتي	يا وحشةً مُتماديةَ
يا ليلةً ودَّعتُهـــــم	يا ليلةً هيَ ما هيةَ

و"الغسانية [2]" لها أبيات تتسم بصدق العاطفة وعمقها وأصالتها ، قالتها في الغزل وشكوى الفراق ، وفيها أماني بعودة أيام الوصال ، ودعوة إلى الصبر على فراق الأحبة ؛ إذ بانوا ، حيث تقول:(الطويل)

أَتجزعُ أن قالوا ستظعن أظعان	وكيفَ تُطيقُ الصبرَ ويحك إن بانوا
وَما هوَ إلّا الموت عندَ رحيلهم	وإلّا فعيشٌ تُجتنى منهُ أحزانُ
عَهدتهمُ والعيشُ في ظلِّ وصلهم	أنيق وروضُ الدهر أزهر ريّانُ
لياليَ سعدٍ لا يُخاف على الهوى	عتاب ولا يُخشى على الوصلِ هجرانُ
وَيَسطو بنا لهو فنعتنقُ المُنى	كما اِعتنقت في سطوةِ الريح أفنانُ
أَلا ليتَ شِعري والفراق يكون هل	تكونونَ لي بعد الفراق كما كانوا

إنه شعر جميل رائع ، فيه حب وشوق ولوعة ، وفيه قوة وتمكن واقتدار ، وينساب عذبا بمعانيه وألفاظه ، وتصل فيه المعاني بين الأبعاد النفسية والاجتماعية من جهة والطبيعة من جهة أخرى ، مع وجود النزعة النسائية المتمثلة في الرغبة في الاستقرار واستعادة الزمن الذي تحققت فيه الذات مع من تحب .

---

[1] نفح الطيب ٢٨٦/٤

[2] شاعرة اندلسية تلقب بالبجانية نسبة إلي بجانه، مدحت الملوك وامتازت بطرافتها وأدبها وجمال لطفها وبهائها وكمالها وذكر انها عالمة بالعروض وضروبة والشعر وروايته. ينظر جذوة المقتبس: ٣٨٩ ، الصلة: ٦٥٧/٢ ، نفح الطيب: ٣٠٢/٥ المغرب في حلى المغرب ١٩٢/٢

وقسمونة تبث شكواها من لوعة الفراق بينها وبين من تحب – ولم تتزوج بعده – حيث تقول[1]: (الكامل)

يا ظبيةً تَرْعى بروْضٍ دائما إني حكَيْتُكِ في التَّوحُّشِ والحَوَرْ

أمْسى كلانا مفردًا عن صاحبٍ فَلْنَصْطَبِرْ أبداً على حُكم القَــدَرْ

وحمدونة بنت زياد التي تناهى بها الحزن والألم، ممن يراقبون ويتحينون الفرص لإيقاع الفرقة بين المحبين . بيد أنها مع شكواها ، تأبى إلا التصدي والدفاع بكل ما تملك من أسلحة المرأة ، تقول[2] :(الطويل)

ولما أبى الواشون إلا فِراقَنَـــــا وما لَهُمُ عندي وعِنْدَكَ من ثـــــار

وشنّوا على أسماعنا كلَّ غــارةٍ وقلَّ حُماتي عند ذاك وأنصـــاري

غَزَوْتُهُمُ من مُقلتيكَ وأدمعـــــــي ومن نَفَسِي بالسيف والسيل والنار

صاغت الشاعرة الأندلسية شكواها من الوجد والبعد في أبيات تتناغم وتتلاحق لترسم شيئاً ما يختلف باختلاف الشاعرة المحبة وشدة لوعتها. وما شعر الشكوى إلا متنفساً عن مشاعر الحزن والضيق .

أما حفصة بنت حمدون فكان لها شكوى من شيء آخر إنها تشكو من سلوك عبيدها وتذمهم قائلة[3]: (السريع)

يا رب إني من عبيدي على جَمْرِ الغضا ما فيهمُ من نجيبْ

إما جهولٌ أبلهٌ مُتْعِـــــبٌ أو فَطِنٌ من كيده لا يجيـــــبْ

---

[1] نفح الطيب ٣/ ٥٣٢

[2] المصدر نفسه٦/٢٣

[3] المصدر نفسه : ٦ /٢٢

وقد استخدمت الشاعرة الكناية في تصوير انفعالاتها فجعلت (جمر الغضا) كناية عن التأذي بالعبيد .

بذلك اختلفت طرق عرض كل شاعرة لشكواها ، وتعددت وسائل التعبير عنها؛ باختلاف ثقافتهن، ودرجةحرمانهن من تحقيق رغباتهن الذاتية وغير الذاتية . وشكواهن في مجملها تتصف برهافة الحس وقوة الشعور وصدق التعبير، لأنهن مثلن واقعهن خير تمثيل في شعرهن كما أن هذه الأشعار صادرة عن لحظات ضعف أنثوية . فلا نلمح فيها فحش ، أوبذاءة ، أوخروج عن المألوف من قولا كان أو فعلا .

خاتمة :

- عندما نُعيد قراءة كتب التراث الأندلسي الأدبي والفني يدهشنا عدد الشاعرات اللواتي نبغن سواء إبان الحقبة الذهبية للحكم العربي أو بعدها حتى آخر ذلك الحكم .

- إن إبداع المرأة لا يتأتى إلا إذا توفرت له شروط من أهمها وجودها في عصر يسمح لها فيه المجتمع بالمشاركة في الحياة العامة ، والدخول في معتركها دونما تحفظات أو شروط مسبقة ، مع توفير مستوى ثقافي معين ، فضلاً عن ضمان حرية القول دون خوف من رقيب أو عقاب ، والانتماء إلى نمط اجتماعي بذاته، أي أن الحرية والتعليم والمشاركة هي الأسس التي تفتح أمام الذات النسائية أفق الإبداع .

- كما أن الانفتاح في العادات و مرونة التقاليد –مثلما كان عليه الأمر في المجتمع الأندلسي-باب آخر من دوافع الإبداع للمرأة .

- وينوه المستشرق " هنري بيريس"[1] بوضع المرأة الأندلسية حيث يجعلها في مراتب راقية تتساوى فيها مع الرجل ، بل إن المرأة الأندلسية كانت تتوارد على نوع من الأكاديميات التي تتعلم فيها الفنون المختلفة والعلوم وأشهر هذه المدارس التي كانت موجودة بقرطبة.

- ويشير ابن بسام الشنتريني صاحب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " إلى امرأة عربية خرجت من احدى هذه المدارس متحدثا عن جمالها ومشيتها وصوتها ، ومواهبها وثقافتها، مشيراً إلى أنها

[1] هنري بيريس – الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف – ترجمة د/ الطاهرأحمد مكي – دار المعارف ط١ ١٩٨٨

كانت تجيد استعمال الأسلحة..الخ ، حيث لم يكن لها نظير في ذلك كله.

- يتَّضح من كلمة ابن بسام أنَّه كان للمرأة الأندلسيَّة دورٌ مهم في الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والأدبية، وكان شعرها تعبيرًا عن رُؤيتها للحياة ، والمجتمع ، والظروف والملابسات التي مرَّت بها،

- يتضح أيضًا أنَّ الحريَّة التي أُعطِيت للمرأة في التعليم ، والخروج للحياة العامَّة بمتنزهاتها وصالوناتها الأدبية؛ انعكست إيجاباً على إسهام المرأة الثري في النشاط الأدبي؛ فظهرت شاعرات من كافة طبقات المجتمع حرائر وجواري ؛ حيث تمتعت الكثيرات من الجواري بما للحرائر من ميزات بل واحتللن مكانة مرموقة في المجتمع .وقد امتازَتِ الحركة الشعرية النسائية في الأندلس عنها في المشرق بقيامها على شعر الحرائر أكثر؛ نظرًا لهذه الحريَّة الاجتماعيَّة المتاحة لهنَّ.

- وقد أبدعت الشاعرة الأندلسية فيَ الغزل أكثر من غيره من الأغراض الشعريَّة . فرغم أنَّ المرأة في معظم العُصور كانت محاطة بسياجٍ من التحفُّظات الاجتماعيَّة، التي تَحُولُ دون التصريح بالحبِّ في كثيرٍ من الأحوال ،فإنها قد وجدت السبيل إلى التصريح مُعَبَداً أمامها ، فصرَّحت بهذا الحبِّ. وكان منهنَّ الشريفات، والأميرات، والجواري، كما أكثرت من وصف ذاتها، والتغنِّي بمحاسنها، ووصف مَشاعرها تجاه المحبوب.

- أما المدح فقد اتسم بميسم الهدوء والاتزان ، والتفَّ بغلالةٍ رقيقة من الغزَل والإعجاب بالممدوح ، كما أنه قد خلا تقريبًا من صِفات الممدوح الماديَّة .

- أمَّا الهجاء فقد كان المقصود منه التفكُّه والتندُّر، وكان مُعظَمه يدورُ في مجالس المُنادَمة، وهو هجاءٌ يغلب عليه توظيف الألفاظ النابية والسوقيَّة؛ ممَّا يَشِي بطابع الحياة الأندلسيَّة، التي جعلت المرأة لا تَتَوانَى عن القول في هذا الغرَض بمثْل هذه الطريقة وذاك الأسلوب.

- ويأتي الرثاء والشكوى في إطار الخضَوع لعاطفةٍ مُتغيِّرة متقلِّبة ، مرتبطة بموقف تزول بزواله أو البعد عن مصدره أو بمضي الزمن وقد ساعد ذلك على أنْ يخرُج هذا الشعر في مقطوعاتٍ أو قصائد قصيرة ؛ لأنَّ المرأة غالبًا راغبةٌ في التعبير عن حالتها النفسيَّة عندما تحسُّ بها دُون تنقيحٍ أو تهذيب كبير، أو حرفيَّة في التعامُل مَع النصِّ الشعري. ورغم هذه الحالات النفسيَّة المتغيِّرة في المقطوعات المختلفة، ورغم أنَّ الأبيات كانت في مُعظَمها مرتجلة وعفويَّة، فقد كان الخيال موجودًا في كثيرٍ من هذا الشعر النسائي، بأنماطه البلاغيَّة المختلفة؛ من تشبيه، واستعارة، وكناية، وكان هذا الخيال قريبًا، بسيطًا، بعيدًا عن التكلُّف، وإرهاق الذهن، في محاولة فهْم الصور الشعريَّة، أو تحليلها، وهي صُوَرٌ تخضع في مُعظَمها لعاطفة المرأة المرتبِطة برؤيتها الذاتيَّة للأشياء .

تلك رحلة مع القراءة الجديدة لشعر المرأة الأندلسية حاولت فيها إلقاء الضوء على شعر ذي قيمة فنية عالية بنظرة متجددة . والتعرف إلى نساء أبت كل واحدة منهن على اختلاف أماكن وجودها على الخروج من بوتقة التجهيل ، و خلدن أسماءهن بحروف من ذهب ، ورغم بعد المسافات الزما نية والمكانية فإنهن استطعن اختراق الحواجز و الحدود ، وأضحين

ظواهر واضحة للعيان من حيث الجرأة والطرح والظهور بقوة لتخليد أسمائهن عبر التاريخ .

إننا في عصرنا هذا بكل ما فيه من تقدم ورقي نحتاج لجرأة ولادة و حفصة و حمدون ... من غير حروفهن، فلكل منا حروفه وسماته الخاصة التي تميزه عن غيره ، نحتاج العبرة والعظة منهن لنكن نحن كما نريد ، نكتب من غير أن ننتظر من يقول لنا هنا تجاوزت وهنا قف لا يجوز، فالنصرة للحرف هي أول خطوة في طريق تحرير النفس من قيودها، هي الخطوة الأهم للتطور الفعلي والجدي، الذي لا بد سينعكس على كافة أوجه الحياة لاحقاً، فغراس حرية الحرف والكلمة سريعة النمو.. معمرة ، تحتاج فقط أن نكون أنفسنا كما نريد نحن، لا كما يراد لنا أن نكون.

أخيراً ، أجد من خلال قرائتي لما وقع في يدي من أشعار للأندلسيات أن الشاعرات الأندلسيات قد تميزن بأمور أهمها :

مجون عدد منهنّ وتحررهن السافر ومجاهرتهن بغرامياتهن وهذا الموضوع لم يكن سابقاً أو لاحقاً إلا في جو الأندلس المنفتح كما ألاحظ أن هذا المجون والفسق قد رافق الثراء والترف الذي عاشته بعضهن ، أما الورع والحكمة والتعفف فقد كان ميزة الشاعرات الفقيرات اللواتي كنّ يبحثن عن لقمة العيش لهن ولأطفالهن .

كما أنني ومن خلال بحثي وجدت كثيراً من الشاعرات ولكن لم يكن لأغلبهن إلا بعض أبيات أو بيتاً واحداً وهو دليلٌ على قصر النفس وقلة التجربة على الرغم من الميل الدائم إلى الرقة والتجديد في الصور واللغة والأساليب .

إذاً ، استطاعت فالمرأة الأندلسية الشاعرة أن تترك لنفسها الأثر الجميل وأن تجعل لها مكانة ما كانت لتحلم بها المرأة على مر العصور كما استطاعت أن تُدخل الجديد إلى كتب التراث الأندلسي بما خطته من مواضيع وأساليب في شعرها فكانت المادحة والهاجية والمتغزلة على عادة من سبقها، وكانت المانحة ، الرافضة، الشاكية ، المتأففة ، الواعية ، الحكيمة ...على عادتها في المعاني التي ابتدعتها .

فهرس المصادر والمراجع والدوريات :

١- إبراهيم مصطفى وآخرون – المعجم الوسيط – دار احياء التراث.

٢- ابن بسام – *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة– تحقيق:* إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت ١٩٩٧١م .

٣-ابن الخطيب – الإحاطة في أخبار غرناطة – تحقيق محمد عبد الله عنان – مكتبة الخانجي ١٩٧٣م .

٤- ابن رشيق– العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل ط٥ ١٩٨١م

٥- ابن سعيد – المغرب في حلى المغرب – تحقيق شوقي ضيف – دار المعارف

٦- ابن الآبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي – التكملة لكتاب الصلة – المحقق: عبد السلام الهراس– دار الفكر للطباعة – لبنان– ١٩٩٥م

٧- ابن منظور – لسان العرب – دار صادر– ٢٠٠٣م ج ١١

٨- أبو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح ابن عبد الله الأزدي الحميدي – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، 1966م.

٩- ابو القاسم خلف ابن عبد الملك المعروف بابن بشكوال– الصلة في تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم ، تصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥م.

١٠- احسان عباس – *تاريخ الأدب الاندلسي عصر سيادة قرطبة* – دار الثقافة – ١٩٦٠م.

١١- أحمد بن محمد المقري التلمساني– *نفح الطيب* من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق، إحسان عباس–، دار صادر – بيروت–١٩٦٨م

١٢- أميليوغارسيه غومس - الشعر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس - مكتبة النهضة العربية- سلسلة الألف كتاب- رقم ٩٥ .
١٣- اندرسون امبرت - مناهج النقد الأدبي، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي- دار المعارف القاهرة .
١٤- أ. نيكل البوهيمي - مختارات من الشعر الأندلسي - دار العلم للملايين ١٩٤٩م .
١٥- ايليا الحاوي - فن الهجاء وتطوره عند العرب -دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
١٦- بدير متولي حميد - قضايا أندلسية - دار المعارف - ط١ ١٩٦٤م
١٧- بشير يموت - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام - المكتبة الأهلية، بيروت-١٩٣٤م.
١٨- بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس - دار عواد - بيروت
١٩- الجاحظ - البيان والتبيين- دار صعب - بيروت- تحقيق : المحامي فوزي عطوي-١٩٦٨م.
٢٠- جبور عبد *النور* - المعجم الأدبي - دار العلم للملايين -ط٢ - ١٩٨٤م
٢١- جودت *الركابي*:
- في الأدب الأندلسي - دار المعارف ١٩٦٦م
- الطبيعة في الشعر الأندلسي ـ مطبعة الشرقي-دمشق-١٩٧٠م
٢٢- حسان أبو رحاب - الغزل عند العرب - مطبعة مصر-١٩٤٧م
٢٣- الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس، الجزء الثاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري ودار الكتب اللبناني، ١٩٦١م
٢٤- خير الدين الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين ط١٥ - ٢٠٠٢م

٢٥- رحمي عمران - صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين مجلة القسم العربي باكستان العدد ١٨ / ٢٠١١م

٢٦- زينب فواز- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور- مكتبة مشكاة الإسلامية الاليكترونية

٢٧- سعد إسماعيل شلبي- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧٨ م.

٢٨ - السيوطي - المستظرف من أخبار الجواري - تحقيق د. صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧٦م.

٢٩- شوقي ضيف- دراسات في الشعر العربي - دار المعارف ٢٠٠٣م

٣٠- صلاح خالص - أشبيلية من القرن الخامس الهجري - دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٦٥م.

٣١- الضبي - بغية الملتمس تحقيق / ابراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي- ١٩٦٧م .

٣٢- الطاهر أحمد مكي - دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة دار المعارف- ط٢- ١٩٨٢م.

٣٣- طاهر عيد مسلم - عبقرية الصورة والمكان - دار الشروق للنشر والتوزيع - الأردن ٢٠٠٢م ٣٤- الطاهر لبيب- سوسيولوجيا الغزل العربي - دار العلم للملايين ١٩٨٤م.

٣٥- عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس . دار النهضة للطباعة والنشر ١٩٩٥م

٣٦- عبد الله عفيفي-المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها-مطبعة المعارف ١٩٣٠م.

٣٧- علي جواد الطاهر وآخرون - المنهل في الأدب العربي. العصر العباسي و الأندلسي - المكتبة الأهلية - بغداد ١٩٦٢م.

٣٨- عمر رضا كحالة - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - مؤسسة الرسالة

٣٩- عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي - دار العلم للملايين

٤٠- عيسى سابا - غزل النساء - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٣م

٤٢- قدامة بن جعفر - نقد الشعر - تحقيق وتعليق / محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب العلمية .

٤٣- كمال الدسوقي - علم النفس ودراسة التوافق - مطبعة جامعة الزقازيق ١٩٨٥ .

٤٤- محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - شرح محمود محمد شاكر - دار المدني - جدة.

٤٥- محمد جميل بيهم - المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة - بيروت- دار النشر للجامعيين - ١٩٦٢ م.

٤٦- محمد رضوان الداية - في الأدب الأندلسي - دار الفكر -دمشق ٢٠٠٠م

٤٧- محمد عبد العزيز عثمان - دور المراة العربية في الأندلس - مجلة المؤرخ العربي العدد ١٣ / ١٩٨٠م

٤٨- محمد عبد المنعم خفاجة:

- قصة الأدب في الأندلس - مكتبة المعارف -١٩٦٢م

- الأدب الأندلسي- التطور والتجديد- دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع- ١٩٩٢م

٤٩- محمد مجيد السعيد:

-الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس - المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر ٢٠٠٨م.

- الشعر في عهد المرابطين والموحدين الدار العربية للموسوعات ١٩٧٤م.

٥٠- مصطفى الشكعة- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه- دار العلم للملايين - ١٩٩٥م.

٥١- مصطفى صادق الرافعي- تاريخ آداب العرب- أخرجه: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٠م .

٥٢- مصطفى ناصف - قراءة ثانية لشعرنا القديم - دار الأندلس للطباعة والنشر.

٥٣- منجد مصطفى بهجت - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة - دار الياقوت - ٢٠٠٦ م

٥٤- هنري بيريس - الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف - ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي - دار المعارف ١٩٨٨م.

٥٥- وهب رومية- شعرنا القديم والنقد الجديد - عالم المعرفة العدد٢٠٧.